عبد الرحمن السميط رجل بأمة

هلال يضيء الظلمات التي تعيشها أفريقيا

www.paldf.net

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

كم هو جميل أن يسطع في سماء الدعوة نجم تتطلع إليه الأفئدة قبل العيون ، ليترك ذكراه العطرة حياً وميتاً في تاريخ الإسلام ، وليقول للدنيا بلسان حاله "أمة الإسلام ولادة"، وإذا خبا منها نجم سطع آخر ، وإذا رحل منها أسد قام شبل قئول بما قال الكرام فعول.
هل سمعتم بذلك الطبيب المسلم الموفق ، الذي ترك الإقامة في بلاده الدائمة في بلاده الغنية وبين أهله وأبنائه ، وطلق حياة الغنى والرفاهية ونبذ عيشة الرغد والراحة ،وآثر أن يخرج إلى أدغال إفريقية ويتنقل بين بلادها الفقيرة، يدعوا إلى الله وينشر دينه ، فيبقى على ذلك ما يقارب ثلاثين عاماً حتى يتجاوز عدد من أسلم على يديه أحد عشر مليون شخص وتبنى بفضل جهوده آلاف المساجد وتفتح مئات المدارس ، وتحفر آلاف الآبار وتشاد المستوصفات والمستشفيات ؟! هل سمعتم بذلك الرجل الذي هضمته وسائل الإعلام ولم ترفع لهُ ذكرا إلا ما شاء الله ؟! إنه الداعية عبد الرحمن السميط.

ترك الطبيب المسلم عبد الرحمن السميط حياة الرفاهية والدعة بموطنه الكويت ، ليجود بوقته وماله بل وأسرته في سبيل الله ، من أجل أن يأتي يوم القيامة بما هو خير من حمر النعم ، فتح عبد الرحمن السميط قلبه للمسلمين بأفريقيا ، ليجدد لهم دينهم وكأن الله بعثه مجدداً لهؤلاء في هذا القرن .

ذهب الرجل يجوب الأدغال الأفريقية لا يبال على أي فرش ينام أو أي طعام يأكل أو من أي مستنقع يشرب ولم يبال بكبر سنه والأمراض التي تلاحقه ، هانت عليه نفسه في الله ، فرزقه الله محبة الخلق وتعلق قلوبهم به في بقاع الأرض ، وزيادة على ذلك ذاق ثمار النجاح ورآها يانعة أمام عينيه متمثلة في إسلام عشرات الألوف على يديه. نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله ، وها هو يمد يده لتتلقف الأيدي العطشى للعمل في سبيل الله ، في دعوة عملية للمشاركة بالمستطاع لنشر دين الله في أماكن سبقه إليها المنصرين بعشرات السنين ، فلم ينهزم أو يتحطم طموحه ، وإنما صبر وصابر حتى اقتنص النجاح من براثن المنصرين .

عبد الرحمن بن حمود السميط

- داعية كويتي ومؤسس جمعية العون المباشر – لجنة مسلمي أفريقيا سابقاً – ورئيس مجلس إدارتها،
- رئيس مجلس البحوث والدراسات الإسلامية.

ولد في الكويت عام ١٩٤٧م. أسلم على يديه أكثر من ١١ مليون شخص في إفريقيا بعد أن قضى أكثر من ٢٩ سنه ينشر الإسلام في القارة السمراء.

طبيبًا ثم ناشطًا في العمل الخيري

قبل أن يصبح ناشطاً في العمل الخيري، كان طبيبا متخصصا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي. تخرج من جامعة بغداد بعد أن حصل على بكالوريوس الطب والجراحة، ثم حصل على دبلوم أمراض مناطق حارة من جامعة ليفربول عام ١٩٧٤م، واستكمل دراساته العليا في جامعة ماكجل الكندية متخصصًا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي.

الأوسمة و الجوائز التي حصل عليها

نال السميط عددا من الأوسمة والجوائز والدروع والشهادات التقديرية، مكافأة له على جهوده في الأعمال الخيرية، ومن أرفع هذه الجوائز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، والتي تبرع بمكافأتها (٧٥٠ ألف ريال سعودي) لتكون نواة للوقف التعليمي لأبناء أفريقيا، ومن عائد هذا الوقف تلقت أعداد كبيرة من أبناء أفريقيا تعليمها في الجامعات المختلفة.

ما تعرّض له من منغّصات

تعرض في أفريقيا للاغتيال مرات عديدة من قبل المليشيات المسلحة بسبب حضوره الطاغي في أوساط الفقراء والمحتاجين، كما حاصرته أفعى الكوبرا في موزمبيق وكينيا وملاوي غير مرة لكن الله نجاه. بالإضافة إلى لسع البعوض في تلك القرى وشح الماء وانقطاع الكهرباء. وتعرض في حياته لمحن السجون وكان أقساها أسره على يد البعثيين.

قضى ربع قرن في افريقيا وكان يأتي للكويت فقط للزيارة أو العلاج، كانت سلسلة رحلاته في أدغال أفريقيا وأهوال التنقل في غاباتها تعد نوعاً من الأعمال الاستشهادية بتعريض نفسه للخطر لأجل أن يحمل السلام والغوث لأفريقيا بيد فيها رغيف ويد فيها مصباح نور وكتاب، وسلاحه المادي جسده المثخن بالضغط والسكر والجلطات وأما سلاحه الإيماني الذي حسم معارك السميط في سبيل الله والمستضعفين فآيات استقرت في قلبه. ما زال السميط يعمل في الدعوة رغم أنه شيخ كبير ظهر بياض شعره وصعوبة حركته وتثاقل أقدامه فضلاً عن إصابته بالسكر وبه آلام في قدمه وظهره.

النشـــــأة

السميط و حُب القراءة

أحب السميط القراءة منذ صغره حتى أن والده هدده في أكثر من مرة أنه لن يصطحبه إلى السوق، لأنه كان إذا رأى صفحة جريدة أو مجلة ملقاة على الأرض ركض لالتقاطها وقراءتها أثناء المشي، وكثيراً ما كان يصطدم بالناس بسبب عدم الانتباه إلى الشارع، وقد أمضى فترة طويلة يتردد على مكتبة حولي العامة للقراءة، وكانت تضم أمهات الكتب، هذه القراءة فتحت

عينيه على معلومات مهمة لم تكن متاحة لأقرانه، وقراءاته كانت متنوعة حيث شملت العلوم الشرعية والأديان الأخرى والسياسة والاقتصاد وغيرها، وكان من عادته إذا أمسك بكتاب مهما كانت عدد صفحاته لا يتركه حتى يُنهى قراءته. وفي بعض الأحيان كان يذهب إلى مكتبة حولي قبل موعد الدوام ليكون أول الداخلين إليها وعندما تغلق أبوابها يكون آخر الخارجين. وكانت معظم أمواله متجهة إلى شراء الكتب من المكتبات الخاصة التي كانت تأتي من مصر.

إيمان السميط

كان متديناً بطبعه منذ أن كان عمره ٦ سنوات، حريصاً على الصلوات خاصة صلاة الفجر، وكان أهل الحي يطلقون عليه "المطوع"، كما أن اشتراكه في الكشافة لمدة ٧ سنوات ترك في حياته بصمات واضحة من حيث التكوين الإسلامي وتحمل المشاق والصبر على شظف الحياة. وسبب حبه للقراءة وإقباله على مطالعة الفكر المناوئ للإسلام كان بهدف البحث عن الحقيقة وتوسيع مداركه ومعارفه، وكان كلّما قرأ في النظريات اليسارية والماركسية وغيرها ترسخت في عقله ووجدانه عظمة وأهمية الإسلام وأزداد فخراً وعزاً بالانتماء إليه، لما في هذه النظريات من أفكار غثة وخرافات وأساطير تصطدم بالفطرة الإنسانية، مما كان يدعوه إلى التمسك بالإسلام والدعوة إليه والعمل على نشره حتى أصبح من المؤمنين بأن الإسلام سبق جميع النظريات والحضارات والمدنيات في العمل التطوعي والإنساني وغيره.

التعليم والعمل

نشأ عبد الرحمن السميط في الكويت وتعلم في مدارسها حتى المرحلة الثانوية ثم ابتُعث في يوليو عام ١٩٧٢م إلى جامعة بغداد للحصول على بكالوريوس الطب والجراحة. غادر بعدها إلى جامعة ليفربول في المملكة المتحدة للحصول على دبلوم أمراض المناطق الحارة في أبريل ١٩٧٤ ثم سافر إلى كندا ليتخصص في مجال الجهاز الهضمي والأمراض الباطنية. تخصص في جامعة ما كجل . مستشفى مونتريال العام . في الأمراض الباطنية ثم في أمراض الجهاز الهضمي كطبيب ممارس من يوليو ١٩٧٤م إلى ديسمبر ١٩٧٨م ثم عمل كطبيب متخصص في مستشفى كلية الملكة في لندن من عام ١٩٧٩ إلى ١٩٨٠. ثم عاد إلى الكويت عاملاً فيها بعد سنين الخبرة في الخارج، حيث عمل إخصائيا في مستشفى الصباح في الفترة من ١٩٨٠ – ١٩٨٣م، ونشر العديد من الأبحاث العلمية والطبية في مجال القولون والفحص بالمنظار لأورام

السرطان، كما أصدر أربعة كتب هي: لبيك أفريقيا، دمعة على أفريقيا، رسالة إلى ولدي، العرب والمسلمون في مدغشقر، بالإضافة إلى العديد من البحوث وأوراق العمل ومئات المقالات التي نشرت في صحف متنوعة، تولى منصب أمين عام جمعية مسلمي أفريقيا عام ١٩٨١م، وما زال على رأس الجمعية بعد أن تغير اسمها إلى جمعية العون المباشر في ١٩٩٩م.

تحرّي الحلال و الحرام

كان السميط مِمَن تشغله قضية تحري الحلال والحرام، فقد أمضى ٥ سنوات في كندا و٣ سنوات في بريطانيا لم يدخل أية مطاعم ولم يتناول مأكولاتها خشية الحرام حتى الجبن لا يتناوله خاصة بعد أن اكتشف أنهم يستخدمون في صناعته مادة الرنيت أحيانا ومصدرها الخنزير، أو أبقار لم تُذبح حسب الشريعة الإسلامية. وعندما زارهم الشيخ القرضاوي سألوه عن أكل هذه الأجبان فأجازها، واحتراماً منه لرأي الشيخ وتقديراً لمكانته ذهب إلى السوق واشترى جبناً لأبنائه ولكنه لم يأكل منه.

طبيبًا غير عادي

لم يكن السميط طبيباً عادياً بل طبيباً فوق العادة، إذ بعد أن ينتهي من عمله المهني، كان يتفقد أحوال المرضى، في أجنحة مستشفى الصباح – أشهر مستشفيات الكويت – ويسألهم عن ظروفهم وأحوالهم الأسرية والاجتماعية والاقتصادية، ويسعى في قضاء حوائجهم، ويطمئنهم على حالاتهم الصحية. واستمرت معه عادته وحرصه على الوقوف إلى جانب المعوزين وأصحاب الحاجة، حينما شعر صاحبها بخطر المجاعة يهدد المسلمين في أفريقيا، وأدرك انتشار حملات التبشير التي تجتاح صفوف فقرائهم في أدغال القارة السوداء، وعلى إثر ذلك آثر أن يترك عمله الطبي طواعية، ليجسد مشروعاً خيرياً رائداً في مواجهة غول الفقر، واستقطب معه فريقاً من المتطوعين، الذين انخرطوا في تدشين هذا المشروع الإنساني، الذي تتمثل معالمه في مداواة المرضى، وتضميد جراح المنكوبين، ومواساة الفقراء والمحتاجين، والمسح على رأس اليتيم، وإطعام الجائعين، وإغاثة الملهوفين.

من أبحاثه العلمية

- الفتحة بين البنكرياس والقولون . نشرت في مجلة الجمعية الطبية الكندية في ١٩٧٨/٠٤/١م.

- سرطان بقايا المعدة بعد جراحة القرحة الحميدة . بحث قدم في مؤتمر الكلية الملكية للأطباء في كندا . مدينة كويبك . فبراير ١٩٧٩م.
- الفحص بالمنظار للورم الأميبي بالقولون . نشر في مجلة منظار الجهاز الهضمي . عدد ١٩٨٥/٣م في الولايات المتحدة الأمريكية.
- دراسة أهمية المنظار الطارئ في حالات نزيف الجهاز الهضمي (تطبيقات في ١٥٠حالة). "بحث ألقي في مؤتمر الجهاز الهضمي في مستشفى مونتريال لعام ١٩٧٨م.

المساهمات في الجمعيات والمؤسسات

- شارك في تأسيس ورئاسة جمعية الأطباء المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ١٩٧٦م.
- شارك في تأسيس فروع جمعية الطلبة المسلمين في مونتريال ١٩٧٤- ١٩٧٦، ولجنة مسلمي ملاوي في الكويت عام ١٩٨٠م، واللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة ١٩٨٧م.
- عضو مؤسس في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية
- عضو مؤسس في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة
- عضو في جمعية النجاة الخيرية الكويتية
- عضو جمعية الهلال الأحمر الكويتي
- رئيس تحرير مجلة الكوثر المتخصصة في الشأن الأفريقي
- عضو مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية في السودان
- عضو مجلس أمناء جامعة العلوم والتكنولوجيا في اليمن
- ورئيس مجلس إدارة كلية التربية في زنجبار
- رئيس مجلس إدارة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في كينيا.
- رئيس مركز دراسات العمل الخيري وحتى تاريخه.

مساعدة المحتاجين وأعمال الخير

كانت بداية رحلته مع العطف على الفقراء انه لما كان طالباً في المرحلة الثانوية في الكويت وكان يرى العمال الفقراء ينتظرون في الحر الشديد حتى تأتي المواصلات فما كان منه الا أنه جمع هو واصدقائه المال واشترى سيارة قديمة وكان كل يوم يوصل هؤلاء العمال مجانا رحمه بهم.

أراد مع بعض أصدقائه أن يقوموا بعمل تطوعي، فقاموا بجمع مبلغ من المال من مصروفهم اليومي واشتروا سيارة، كان يقوم أحد أفراد المجموعة بعد انتهاء دوامه بنقل العمال البسطاء إلى أماكن عملهم أو إلى بيوتهم دون مقابل. وفي الجامعة كان يخصص الجزء الأكبر من مصروفه لشراء الكتيبات الإسلامية ليقوم بتوزيعها على المساجد، وعندما حصل على منحة دراسية قدرها ٤٢ دينارًا كان لا يأكل إلا وجبة واحدة وكان يستكثر على نفسه أن ينام على سرير رغم أن ثمنه لا يتجاوز دينارين معتبرا ذلك نوعا من الرفاهية.

وأثناء دراساته العليا في الغرب كان يجمع من كل طالب مسلم دولارًا شهرياً ثم يقوم بطباعة الكتيبات ويقوم بتوصيلها إلى جنوب شرق آسيا وأفريقيا وغير ذلك من أعمال البر والتقوى.[١٤]

الانتماء

وعن انتماءاته الفكرية والثقافية فقد تقلب في معظم الجماعات الإسلامية كالتبليغ والإخوان المسلمين والسلفيين وغيرهم ويدين بالفضل لهؤلاء جميعاً، فقد أسهموا في تشكيل فكره، وتكوين وصياغة طريقه، وانتهى به المسار إلى احتراف العمل الخيري بعد أن شعر بلذة ومتعة مساعدة الآخرين الذين هم في أمسِّ الحاجة إلى الحد الأدنى من ضرورات الحياة وخاصة المجتمعات المهمشة في أفريقيا.

دخوله الســـجن

سجن السميط مرتين، الأولى في بغداد عام ١٩٧٠ وكاد يعدم، والثانية عام ١٩٩٠ عندما اعتقلته المخابرات العراقية أثناء غزو العراق للكويت ولم يعرف مصيره وقتها. عذب في بغداد حتى انتزعوا اللحم من وجهه ويديه وقدميه، ويقول عن ذلك: كنت على يقين من أنني لن أموت إلا في اللحظة التي كتبها الله لي

عبد الرحمن السميط في افريقيا

كان سبب اهتمام السميط بأفريقيا هو دراسة ميدانية للجنة أكدت أن ملايين المسلمين في القارة السوداء لا يعرفون عن الإسلام إلا خرافات وأساطير لا أساس لها من الصحة، وبالتالي فغالبيتهم – خاصة أطفالهم في المدارس – عرضة للتنصير، وقد نتج عن ذلك أن عشرات الآلاف في تنزانيا وملاوي ومدغشقر وجنوب السودان وكينيا والنيجر وغيرها من الدول الأفريقية صاروا ينتسبون إلى النصرانية، بينما آباؤهم وأمهاتهم من المسلمين.

طاقة أراد تفجيرها

كان السميط من المؤمنين بأن الإسلام سبق جميع النظريات والحضارات والمدنيات في العمل التطوعي الاجتماعي والإنساني، وتعود قصة ولعه بالعمل في أفريقيا حين عاد إلى الكويت في أعقاب استكمال دراساته العليا، حيث تكمن في داخلة طاقة خيرية هائلة أراد تفجيرها فذهب إلى وزارة الأوقاف وعرض على المسئولين رغبته في التطوع للمشاركة في الأعمال الخيرية، غير أن البيروقراطية الرسمية كادت أن تحبطه وتقتل حماسه، لكن الله شاء له أن يسافر إلى أفريقيا لبناء مسجد لإحدى المحسنات الكويتيات في ملاوي، فيرى ملايين البشر يقتلهم الجوع والفقر والجهل والتخلف والمرض، ويشاهد وقوع المسلمين تحت المنصرين الذين يقدمون إليهم الفتات والتعليم لأبنائهم في مدارسهم التنصيرية، ومن ثم فقد وقع حب هذه البقعة في قلبه ووجدانه وسيطرت على تفكيره.

البداية بـ ١٠٠٠ دولار

بدأ السميط عمله الخيري والدعوي والتنموي بدايات بسيطة في دولة الكويت حيث غلفه بطموحات كبرى، وكان ذلك في أواخر السبعينيات الميلادية من القرن الماضي، وكما هي العادة الدنيوية والنواميس الكونية للبدايات ففيها تكون التحديات والصعوبات والأبواب المغلقة، ثلاثة أشهر من العمل الشاق والجاد والتواصل الكبير مع الناس في بلد غني مثل الكويت ومع ذلك لم يستطع السميط إلا أن يجمع (١٠٠٠) دولار فقط، خاب أمله بالطبع ومع ذلك لم يرفع العلم الأبيض، ولكن غير الاستراتيجية فتحول من مخاطبة الأغنياء والأثرياء إلى مخاطبة الطبقة الوسطى هناك، وتحديداً الشريحة النسوية، فكانت كنز عبد الرحمن السميط المفقود، حيث فتح الله عليه فتحاً عظيماً بعد ثلاثة أشهر عجاف، وانطلق بكل قوة نحو حلمه في تنمية وتغيير وتطوير القارة السمراء، ذلك المكان الموحش للبعض، ولكنه للأنفس التواقة التي تعشق التحدي والمغامرة وتطلبها، وكان ذلك النجاح الرهيب والمدوي بكل المقاييس. فكان يجمع التبرعات من الناس العادية ولا حتى من الدولة.

كان أكثر ما يؤثر في السميط إلى حد البكاء حينما يذهب إلى منطقة ويدخل بعض أبنائها في الإسلام ثم يصرخون ويبكون على آبائهم وأمهاتهم الذين ماتوا على غير الإسلام، وهم يسألون: أين أنتم يا مسلمون؟ ولماذا تأخرتم عنا كل هذه السنين؟ كانت هذه الكلمات تجعله يبكي بمرارة، ويشعر بجزء من المسئولية تجاه هؤلاء الذين ماتوا على الكفر.

الدعوة إلى الإسلام

ترك السميط حياة الراحة والدعة والحياة الرغيدة وأقام في أفريقيا مع زوجته في بيت متواضع في قرية مناكارا بجوار قبائل الأنتيمور يمارسان الدعوة للإسلام بنفسيهما دعوة طابعها العمل الإنساني الخالص الذي يكرس مبدأ الرحمة فيجتذب ألوف الناس لدين الإسلام ويعيشان بين الناس في القرى والغابات ويقدمان لهم الخدمات الطبية والاجتماعية والتعليمية، بل زرع السميط حب العطاء وفن القيادة في من حوله، وكان من أبرز من التقط هذا المنهج حرمه أم صهيب التي تبرعت بجميع إرثها لصالح العمل الخيري، وهي أيضاً قائدة بارزة في مجالها، فقد أسست الكثير من الأعمال التعليمية والتنموية وتديرها بكل نجاح وتميز، وهي بدعمها ومؤازرتها أحد أسرار نجاحه أيضاً، وهذه أحد تفاعلات النجاح وخلطاته السحرية، حيث النجاح الجماعي حيث يكون التكامل.

قطع السميط على نفسه العهد أن يمضي بقية عمره في الدعوة إلى الله هناك، كان كثيراً ما يتنقل براً وقد سافر بالقطار في أكثر من أربعين ساعة بفتات الخبز، ويقوم بالزيارات التي يقطع فيها

الساعات بين طرق وعرة وغابات مظلمة مخيفة وأنهار موحشة في قوارب صغيرة ومستنقعات منتنة.[٨] كان هم الدعوة إلى الله شغله الشاغل حتى في اللقمة التي يأكلها، فإذا وصل إلى قرية واجتمع أهلها قال لهم السميط :« ربي الله الواحد الأحد الذي خلقني ورزقني وهو الذي يميتني ويحييني.»

كلمات يسيرة يدخل بها أعداد منهم إلى الإسلام، كانت طرق الدعوة كثيرة ومتنوعة منها أنه كان يحمل معه ملابس ليقدمها هدية لملوك القرى تأليفاً لقلوبهم إلى الإسلام والحلوى لأطفال القرى من أجل إدخال السرور على نفوسهم. كان السميط شخصاً ملماً بحياة القرى والقبائل الأفريقية وعاداتهم وتقاليدهم، فالداعية الحق هو الذي يعرف طبيعة من يدعوهم، فليس كل داعية يصلح للدعوة في كل مكان، بل لابد من مواصفات معينة يسبقها العلم التام بطبيعة المدعوين وأحوالهم، تميز بمحاسبة من يعمل معه بكل دقة ويقف بنفسه حتى على طعام الأيتام، وكان يقول: « أموال الناس التي دفعوها لعمل الخير لا يمكن أن أفرط في ريال واحد منها.»

في كل مساء عندما يرخى الليل سدوله يقف السميط على الحلقات المستديرة التي تجمع فيها أبناء الأيتام يقرأون القرآن وهو ينتقل من حلقة إلى أخرى ليطمئن على حفظهم للقرآن الكريم ويبتسم في وجوهم، فضلاً عن خروجه بعد العشاء ليطمئن عليهم هل ناموا. كان يقول لمن يسأله عن صنعه:

« يا أخي نحن لا ننتظر شهادات من أحد نحن عملنا في الميدان وننتظر من الله فقط أن يتقبل منا.[٨]»يقول الدكتور السميط في حديث لصحيفة كويتية نحن نادراً ما نقدم "كاش" للفقراء ولكن نقدم مشروعات تنموية صغيرة مثل فتح بقالات أو تقديم مكائن خياطة أو إقامة مزارع سمكية، فهذه تدر دخلاً للناس وتنتشلهم من الفقر، وغالباً تترك أبلغ الأثر في نفوسهم فيهتدون إلى الإسلام.

إن جهود عبدالرحمن السميط أثمرت عن إسلام ما لا يقل عن ١٠ ملايين إنسان وعشرات الألوف من القبائل بأكملها وزعماء قبائل ودعاة لأديان أخرى أسلموا فتحولوا إلى دعاة للإسلام أنقذهم الدكتور بفضل الله وساهم في مد يد العون لهم من خلال توفير المسكن والعمل والمستشفيات والمدارس وغيرها من الاحتياجات.

أسلم على يديه وعبر جهوده وجهود فريق العمل الطموح الذي يرافقه أكثر من سبعة ملايين شخص في قارة إفريقية فقط، وأصبحت جمعية العون المباشر التي أسسها هناك أكبر منظمة عالمية في إفريقية كلها يدرس في منشآتها التعليمية أكثر من نصف مليون طالب، وتمتلك أكثر

من أربع جامعات، وعدداً كبيراً من الإذاعات والمطبوعات، وقامت بحفر وتأسيس أكثر من (٨٦٠٠) بئر، وإعداد وتدريب أكثر من (٤٠٠٠) داعية ومعلم ومفكر خلال هذه الفترة، وقلب الآلاف من طالبي الصدقة والزكاة إلى منفقين لها بكل جدارة فقد طبق المنهج الإسلامي الواسع في التنمية المستدامة للأمم والشعوب. أسلموا لما رأوا من اخلاقه وحبه للفقراء في الوقت الذى كانت فيه الجمعيات التبشيرية البروتستنتية لا تعطى الطعام او تعالج الفقراء الا ان تشترط عليهم الدخول في المسيحية. كما يعمل المنصرون في كل مكان. يستغلون حاجه الفقراء وجهلهم ويجبرونهم على الدخول الى المسيحية.

كان يركب السيارة لمده عشرين ساعه حتى يصل الى الاماكن النائية وأحيانا يكون سيرا على الاقدام فى الوحل والمستنقعات. تعرض للأذى هو وزوجته وابنائه. في مره من المرات مر على ناس مجتمعين فجلس قريبا منهم من التعب الذى حل به من طول السير وفجاءة فوجى بالناس واحد يأتي ويبصق على وجهه وبعد ذلك اكتشف انه كانت محاكمه في القبيلة وممنوع الغرباء ان يحضروا. في مره من المرات دخل مع زوجته الى قبيله من القبائل فتعجب الناس من ارتدائها للحجاب وكادوا ان يفتكوا بها لولا انها انطلقت تجرى الى السيارة

قبل فترة كنت أقضى من ١٠ إلى ١١ شهرا في أفريقيا ولا أقضيها في بلد واحد أو مدينة واحدة إذ يندر أن أبقى أكثر من ٣ أيام في مكان واحد، فطبيعة عملي تفرض علىّ أن أتنقل من مكان إلى أخر لمتابعة مشاريعنا ودعاتنا وبرامجنا لمساعدة هذه المجتمعات الفقيرة، ولهذا كنت لا أرى أولادي كثيراً، حتى أن ابني الأصغر كان يهرب مني داخل المنزل عندما أعود إلى الكويت. وبعد ذلك بدأت أصطحب أسرتي خلال فترة الصيف لكي يتعرفوا على أفريقيا وحياة الفقراء، ولكي أتعرف عليهم ويتعرفوا عليَّ، وننام في الغابات والصحارى، ولم أنظم برنامجاً خاصاً بهم، بل كان برنامجي هو برنامجهم.

الهجوم والطعن به

كتب بعض العلمانيين والليبراليين عشرات المقالات التي تهدف إلى قتل العمل الخيري وإغلاق المؤسسات الخيرية في الكويت، ممن حاولوا الطعن في العمل الخيري على مدى سنوات طويلة، وبعد كل مرة ينشر العلمانيين والليبراليين مقالاً من هذا النوع، كان الشعب الكويتي يرد بطريقته الخاصة، إذ بدأت التبرعات بالزيادة في ردًا على هذه المقالات، وكان أهل الكويت يصوتون برفض ما كتبه هذا أو ذاك، وكتب أحدهم مقالاً في إحدى الصحف اليومية يطفح بالكراهية وينم

عن الحقد، وجاء العشرات يحملون شيكات التبرع أو رزم التبرعات للجمعية، والكثير منهم أبدي استياءه مما كتب، وكتب أحدهم مقالاً فاض بالاتهامات الموجهة للقائمين على العمل الخيري مما قابله زيادة في عدد المتبرعين.

وقبل مدة ظهر السميط في برنامج تلفازي حواري، فاتصل أحدهم يهاجمه بطريقة غير مؤدبة بل ويتهمه بالكذب، ومن ثم اتصل به أحد الإخوة المحسنين يعلن التزامه بالتبرع بألف دولار أمريكي يومياً، ولا زال محافظاً على ذلك الالتزام.

القصص كثيرة والحوادث عديدة، وما كانت الجمعية أن تستطيع أن تحقق ما حققته من نجاح وانتشار لولا جهد الكتاب العلمانيين والليبراليين في نشر المقالات التي أثارت سخط الشارع الكويتي وجعلته يزداد إقبالاً عليها.

هجرته الى مدغشقر

اجر الدكتور عبد الرحمن السميط إلى مدغشقر مؤخراً هو وزوجته أم صهيب بشكل نهائي للتفرغ لدعوة قبائل الأنتيمور ومتابعة أنشطة جمعية العون المباشر في أفريقيا.

منذ سنوات قاد حب الاستطلاع السميط لزيارة قرية نائية اسمها "مكة"، ثم بدأ بحثاً علمياً موسعاً عن قبيلة الأنتيمور ذات الأصول العربية الحجازية وهي نموذج من العرب والمسلمين الضائعين في أفريقيا، مثلهم قبيلة الغبرا في شمال كينيا والبورانا في جنوب إثيوبيا وبعض السكلافا في غرب مدغشقر والفارمبا في جنوب زيمبابوي، توجب عليه إنقاذهم من الضلال والشرك وأغلبهم ذوو أصول إسلامية. وشعوراً بعظم المسئولية تجاه الله فقرر السميط أن يقضي أغلب وقته وأنذر ما تبقى من حياته لصالح قبيلة الأنتيمور، رغم أن الطريق ليس سهلاً. [١٨] واستقر السميط بينهم وبنا بيتاً له لكي يخدم الدعوة في هذه الأصقاع. وعمل أمور كثيرة في خدمة هذه القبيلة من بناء مساجد وكفالة أيتام ودعوة وتعليم وصحة وحفر آبار، وإنشاء مقبرة للمسلمين لعدم توافر واحدة هناك. كانت هي آخر بلد عمل بها وجن جنون الجمعيات التبشيرية فقلبت عليه الحكومة حتى طرد من البلد ومنع من العمل الخيري ومنعت عنه التبرعات الخارجية حتى التبرعات من الملابس والحجه انه ارهابي.

من رسائِل السميط:

التنصير في أفريقيا .. و المهتدين الجّدد.

إن الحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن أذهاننا أن الآلاف من سكان القارة الأفريقية، ربما الملايين يدخلون سنوياً في الإسلام رغم إمكانات الهيئات الإسلامية الهزيلة جداً مقارنة بحجم الإمكانات المادية الهائلة والوسائل التقنية المتطورة المتوفرة للكنائس الغربية.

ونسوق مثلاً حياً على ذلك بحجم التبرعات الكبيرة التي خصصت لتمويل مشروع تنصير القارة، والتي بلغت ٣٢٠ ألف مليون دولار أمريكي لسنة ٢٠٠٣ فقط طبقاً لما ذكرته مجلة (I.B.M.R) التنصيرية العلمية. فضلاً عن خمسة ملايين وربع مليون منصر متفرغ يعملون ليل نهار من أجل تنصير القارة بكاملها حسب المشروع المرعب.

لكن السؤال الذي لا ينبغي أن يغيب عن البال كذلك أنه إذا كان الأمر بهذه الصورة المبينة، فما السر في إقبال تلك الأعداد الهائلة من الوثنيين والنصارى الأفارقة أنفسهم على الإسلام؟

فهذا سر لا يدركه إلا من هدى الله قلبه للإيمان، حيث يكتشف أن عقيدة الإسلام هي العقيدة التي تلائم طبيعة الإنسان ولا تتعارض مع سنن الحياة والكون، كما هو الحال في سائر العقائد الأخرى المبنية على الاضطراب والأباطيل والأوهام والبعد عن العقل والمنطق وواقع الحياة. لكن ما جواب المهتدين الجدد عن أسباب إيمانهم بالإسلام وتخليهم عن العقائد الأخرى؟

لقد تبين لي من خلال الأسئلة التي كنت أطرحها عليهم على مدى خمس وعشرين سنة مضت للوقوف على الدوافع الحقيقية وراء هدايتهم، أن هناك شبه إجماع على أن العقيدة الإسلامية تتميز بسهولتها ووضوحها وخلوها من التعقيد إلى جانب ملاءمتها لفطرة الإنسان وطبيعته، سواء ما تعلق منها بأمور الدنيا، أو علم الغيب وأمور الآخرة.

وكدليل على هذا الواقع الإيماني، أذكر قبيلة الغرياما التي تستوطن شرق كينيا، كواحدة من عشرات القبائل التي أزورها، لقد بلغ عدد أفرادها مليوناً وربع مليون نسمة، ولم يسبق لي أن قضيت يوماً في أية قرية من قراها دون أن يشهر فيه العديد من الأفراد إسلامهم، وقد يكون منهم قسيسون، رغم أن نشاط الكنيسة فيها لم يتوقف منذ مائة وأربعين عاماً، إضافة إلى الإمكانات المادية التي تكاد تكون خيالية مقارنة بوضع الدعوة الإسلامية التي لم تعرفها المنطقة إلا منذ خمسة عشر عاماً فقط.

ولكم واجهوني بأسئلتهم المحرجة كتلك التي يتساءلون فيها عن أسباب غيابنا عنهم، أو عن مصير آبائهم وأجدادهم الذين ماتوا على غير ملة الإسلام.

إنها أسئلة عتاب شديد من هؤلاء المهتدين على التقصير الشديد في القيام بواجبنا الدعوي نحو هؤلاء وغيرهم أكثر منها أسئلة استفهام عن أمور الدين. فكيف يكون شعورنا إذن عندما نعرف أن أكثر هؤلاء المهتدين الجدد تمسكاً بالدين، وأكثرهم جهداً ونشاطاً في تبليغ الدعوة كانوا بالأمس قسيسين؟! بل أصبح بعضهم دعاة مسؤولين في مكاتبنا في العديد من الدول الأفريقية، ومنهم الشيخ الداعية إسحق في رواندا – رحمه الله – على سبيل المثال والذي ضحى بحياته المهنية وراتبه الكبير من الكنيسة واعتنق الإسلام ليقضي بقية حياته فقيراً يدعو الناس إلى دين التوحيد حتى أسلم على يديه عشرات الألوف، ولما توفي لم يترك لأهله غير العلم والإيمان، حتى أنهم لم يجدوا شيئاً يدفعون منه رسوماً لاستخراج جثمانه الطاهر من المستشفى الذي توفي فيه.وكذلك كان الشيخ داود في ملاوي الذي ما إن أسلم حتى صب جام غضبه على الكنيسة التي تعمي أبصار الناس وتضلهم عن التوحيد، وكان شديد الانفعال والاندفاع غيرة على الإسلام والمسلمين، لدرجة أننا نهيناه عن اللجوء إلى الطرق الاستفزازية في التعامل مع الكنيسة.

وكذلك القس سابقاً – جيوفري ويسجي في أوغندا وغير هؤلاء كثير ممن تغيب عني أسماؤهم. لكن ما الذي فعله إخواننا الآخرون من خارج القارة الأفريقية لرفع راية الإسلام فيها،، وإنقاذ هذه الملايين من نار جهنم.[1]

أغلى أمنية

أكرر أن من أنجح وسائل الدعوة إلى الله اتباع كتاب الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، خاصة فيما يتعلق بحسن المعاملة للآخرين. تذكروا معي قوله تعالى: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقوله صلى الله عليه وسلم (الدين المعاملة) (وتبسمك بوجه أخيك صدقة) والكثير من ذلك في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهي أمور يغفل عنها بعض الإخوة ممن يتصدون للوعظ.

أذكر أن فتاة عمرها ١٥ سنة من مدينة فلنغارا التي تبعد عن مدينة زغنشور عاصمة جنوب السنغال ٤٠٠ كيلو متر فقدت بصرها وعمرها ٥ سنوات جاءتنا في مخيم علاج أمراض العمى وأجرينا لها عملية جراحية أزلنا فيها عدسة العين وركبنا لها عدسة جديدة وعندما خرجت من غرفة العمليات كان يتملكها هي وأمها يأس شديد خوفاً من فشل العملية، وعندما تمت إزالة الضماد لم تصدق أنها بدأت ترى، ولم تعرف إن كانت في عالم الحقيقة أم أنه حلم ثم لما تأكدت من عودة بصرها أصرت أن تجري عملية للعين الأخرى في اليوم التالي وقبل أن تغادر المستشفى سألناها عن أمنيتها فقالت أغلى أمنية وهي الإبصار وقد تحققت بفضل الله وبقي تعلم القراءة والكتابة لأتمكن من حفظ القرآن ومعرفة فرائض الإسلام، وخدمة هذا الدين العظيم الذي أتى بكم من مكان بعيد من آلاف الكيلومترات حتى تخدمونا.

أحد دعاتنا في غامبيا أحضر جدته المصابة بالعمى منذ سنوات طويلة وقال إن ذلك أثر في نفسيتها، فلم تعد تنطق بكلمة وتبقى صامتة طوال النهار، ولا تحدث أحداً، أحضرها إلى مخيم العيون وأجرينا لها عملية استعادت معها بصرها تكللت العملية ولله الحمد بالنجاح، وعندما أزالوا عن عينيها الضماد بدأت تحمد الله وتشكره، وتدعو للعرب الذين ردوا إليها بصرها بفضل الله، وتتحدث بشكل طبيعي وتعهدت أن تكنس مسجد قريتها كل يوم[2].

---

[1] مجلة حياة العدد (٥٣) رمضان ١٤٢٥هـ
[2] مجلة حياة العدد (٧٧) رمضان ١٤٢٧هـ

الدعاة الفقراء أولى بالمساعدة

إن الاهتمام بأحوال المسلمين الجدد لمن الوسائل والطرق المهمة لنشر عقيدة التوحيد وتثبيتها في قلوب المهتدين، وإعطاء صورة طيبة عن هذا الدين العظيم.وأذكر موقفاً جميلاً في معسكر بانيتو للنازحين بالخرطوم كشاهد على ذلك، عندما نظمنا مشروع إفطار في شهر رمضان، ودعونا إليه كل السلاطين وشيوخ القبائل حتى غير المسلمين من باب تأليف القلوب. وبعد الإفطار هممنا بتقديم المحاضر، فإذا بأحد الحاضرين يقوم ويتكلم عن الإسلام وأركانه بأسلوب جميل وعربية بسيطة، واستمر لمدة نصف ساعة، وأنصت الجميع لما يقول دون ملل.وبعد انتهائه من حديثه، سألنا عنه السلطان عبد الباقي وهو أحد السلاطين المسلمين، فقال: إنه من قبائل جنوب السودان، وتحديداً قبائل الزاندي الوثنية النصرانية، دخل في دين الله قبل ستة أشهر، وأنه يحب الإسلام والمسلمين، وأن حياته قد تغيرت تماماً بعد إسلامه حتى أصبح متحمساً بشكل كبير للدعوة.

وأردف السلطان قائلاً: إن هذا الداعية على استعداد تام للعمل الدعوي متطوعاً في سبيل الله وفي أي مكان لنشر الإسلام، وأن المئات من الوثنيين والنصارى قد دخلوا الإسلام من خلال نشاطه البسيط منذ أن ذاق حلاوة الإيمان. والحقيقة أنه إذا لم نهتم بهؤلاء المهتدين الجدد، كما يقول السلطان، فلا نلوم إلا أنفسنا عندما ينحرفون، وقد يرتدون مثل مؤذن مسجد حي النهضة في معسكر بانيتو للنازحين الذي أسلم فلم يجد من يهتم بتقوية مفاهيمه عن الإسلام، وكاد يموت من الجوع ولم يستطع المسلمون مساعدته لفقرهم، حتى تلقفته الكنيسة فبدأت تقدم له الطعام والمساعدات المالية إلى أن ارتد عن دينه وتنصر بسبب فقره في كل شيء. فقر في الدين وفقر في البطن. إن إمداد هؤلاء المهتدين الجدد الفقراء بالوسائل التي تعينهم على مقاومة الفقر والجوع والمرض، ولا أقول العيش، كالدكاكين المتنقلة غير المكلفة، يبيعون عليها الخضروات أو الحلويات مثلاً، وهي لا تكلف أزيد من ١٢٠٠ ريال سعودي، لهي من أنجح السبل لدعم الدعاة المخلصين في عملهم، والمتحمسين لنشر الإسلام بين أهاليهم، مع العلم أن هؤلاء يعتبرون من الأصناف الثمانية الذين يستحقون أموال الزكاة[٣].

« طفلة تحت عجلاتنا »

ذهبت لزيارة مركز البسام الذي أنشأناه في كينيا في بلدة هولا التي تبعد ١٥ ساعة عن العاصمة وبعد ٩ ساعات من السير بالسيارة في طريق جيد وصلنا إلى مدينة مالندي ذات الطابع العربي على ساحل المحيط الهندي والتقينا مع أحد التجار العرب الذي نصحنا بعدم المخاطرة والاستمرار في سفرنا لأن الطريق فيه أمطار وفيه لصوص مسلحين يسلبون المارة . لكنني أصررت على

[٣] مجلة حياة العدد (٥٢) شعبان ١٤٢٥هـ

المضي قدماً ووصلنا بعد جهد كبير إلى البلدة ولكن قدر الله أن تنطلق فتاة عمرها لا يتجاوز ٤ سنوات وتقذف نفسها تحت السيارة والسيارة تسير بشكل طبيعي وحمداً لله أن الطفلة نجت بعد أن كسرت ساقها أخذنا الفتاة للمستشفى وذهبنا إلى مركز الشرطة للإبلاغ عن الحادث وذكر لنا الضابط أن الأمر بسيط خاصة وأن الطبيب ذكر أن الموضوع هو مجرد كسر بسيط يتوقع شفاؤه في حوالي شهر ولا يتوقع أية مضاعفات ولكن الضابط حذرنا بأنه لن يستطيع أن يفعل شيئاً إذا ما تدخل بعض أفراد الشرطة لأنهم من قبيلة أخرى ورغم أنه مسؤولهم إلا أنه يخشى المشاكل بسببهم وطلب منا عدم الحديث أمامهم عن الحادث، ولكن قدر الله أن يسمعوا عن الطفلة ورغم أن أباها تنازل عن حقوقه بعد أن دفعنا له مبلغاً من المال إلا أنهم أصروا على أن يكتب الطبيب لنا (ضماناً) بأن الطفلة لن تموت وطبعاً رفض الطبيب هذا الطلب الغريب. واضطررنا للرضوخ إلى ابتزازهم وترك سيارتنا في عهدة مركز الشرطة واستأجرنا السيارة الوحيدة المتوفرة في المنطقة بعد أن شاهدنا السيول الغزيرة ورغم أن من عادتي أن لا أعود دون الوصول إلى هدفي ولكن ما رأيته إن أكبر جرار في الإقليم قد غطس في مياه السيول وتوقف عن الحركة فاقتنعت أن الأمر جد وأننا لن نستطيع الاستمرار، فعدنا أدراجنا ولكن العودة لم تكن ميسرة فالسيارة القديمة كانت تنزلق إلى جانب الطريق فإذا نزلنا ودفعناها بأيدينا انزلقت إلى الجانب الآخر وهكذا، واضطررنا أخيراً أن نترك سيارتنا المتهالكة مع السائق وركبنا لوري حكومي لوزارة الزراعة، كان متجهاً إلى أقرب مدينة ولكن الجهد الذي بذلناه وسط الأمطار والوحل كان كبيراً حتى أننا شربنا من الماء المتجمع في آثار العجلات في الطريق من الأمطار والمخلوط بالوحل وكانت الشاحنة مريحة لنا رغم وعورة الطريق نسينا معها راحتنا في سيارتنا الصغيرة في الكويت وأكثرنا من حمد الله على راحة السيارة ثم طرقنا باب أحد العرب من أصل يمني وطلبنا منه سيارة فأعطانا شاحنته بعد أن أصلحها من عطب وعدنا أدراجنا إلى العاصمة نيروبي في طريق مدته ١٥ ساعة وسط الغابات. إنها ذكريات لا أستطيع أن أنساها وأرجو الله أن يجزي خيراً أولئك الأخوة الذين كنت سبباً في معاناتهم في هذه الطرق لأنني شجعتهم على مرافقتي وصبروا وتحملوا دون شكوى أو تذمر[٤].

« صحوة متأخرة »

تربية أولادنا وبناتنا على منهاج النبوة ضروري إذا أردنا أن نحفظ مستقبلهم. آلاف المهاجرين المسلمين من دول الغرب في هولاندا وبلجيكا ودول الغرب قاطبة يدفعون ثمناً غالياً الآن حينما يكتشفون أن بناتهم يرافقن الشباب في هذه الدول ويزرن معهم البارات والمرافق، ويفعلون ما أنتم

[٤] مجلة حياة العدد (٤٩) جمادى الأولى ١٤٢٥هـ

أعلم به.... إنها صحوة متأخرة بعد أن أهملوا تربيتهم عند الصغر على مبادئ الإسلام، وانشغلوا بالدنيا وعبادة الدرهم والدينار.

بعضهم يحاول إقناع ابنته بالسفر معه إلى بلاده، وهناك من يحاول إما تزويجها بالطريقة التي تزوج بها، أو على الأقل إبقائها في دولة عربية مسلمة.

وفي كل يوم تستقبل سفارات هذه الدول في دول المغرب الكثير من البنات من أبناء أولئك الذين هاجروا وراء لقمة العيش ناسين الاهتمام بتنشئة أبنائهم على القيم الإسلامية، السفارة المعنية تمنح البنت تذكرة السفر وجواز السفر وعند وصولها تمنحها شقة تعيش فيها لوحدها أو مع صديقها، لتسلك المنهج الغربي في الأخلاق والقيم. قارن بين هذا الوضع وبين تلاميذ مدرسة النبوة وأحفادهم.

كانت لمالك بن أنس صاحب الموطا ابنة تحفظ علمه، وكانت تقف خلف الباب، فإذا أخطأ التلميذ نقرت الباب، فيفطن مالك فيرد عليه، وغير هذه القصة قصص كثيرة، وأذكر أنني في جنوب أفريقيا حضرت حفلة حفظ القرآن لطفل بلغ السادسة وهو غير عربي، كما شاهدت عشرات الأطفال لم يبلغوا الخامسة. وقد حفظوا خمسة أجزاء من القرآن في دول أفريقية عديدة رغم أنهم أعاجم لا يعرفون العربية.

لنربي أولادنا على الإسلام وقيمه وحفظ كتابه قبل أن نندم يوم لا ينفع الندم[٥].

« الطفلة تهاني »

حي الرحمة في الخرطوم عاصمة السودان يبعد عن وسط المدينة بالسيارة حوالي ٣ ساعات يسكنه النازحون من جنوب وغرب السودان الهاربون من الحروب الأهلية، رئيس الحي هو السلطان عبد الله كافي الذي انضم إلى تمرد جون غارنغ وقاتل في صفوف قواته ثم تاب إلى الله ورجع إلى أهله وازداد تمسكه بالإسلام ورفض السماح لأية كنيسة أن تبنى في الحي الكبير الذي يشرف عليه وشجع رغم قلة الإمكانيات إنشاء خلاوي لتحفيظ القرآن.

زرنا إحدى هذه الخلاوي وقابلنا طفلة اسمها تهاني عمرها ٣ سنوات ورغم هذا تحفظ من سورة الضحى إلى آخر جزء عم في فترة قصيرة لا تتجاوز الشهرين.

حملها الشيخ على كتفه وطلبنا منها أن تقرأ لنا القرآن، قرأت الضحى وسور أخرى بكينا جميعاً عندما سمعناها وتساءلنا ماذا يحدث لو وجد هذا الشيخ وأمثاله راتباً أو دخلاً شهرياً يعيش منه بكرامة وماذا يحدث لو أن هذه الطفلة الموهوبة كرمت ولو بالقليل.أحس بالألم عندما أشعر أن الملايين من المتبرعين السذج تطير إلى جيوب اللصوص والأفاقين ممن يزورون بلادنا أو

[٥] مجلة حياة العدد (٦٩) محرم ١٤٢٧هـ

يراسلوننا ويدعون أن لديهم مشاريع إسلامية تحتاج إلى تمويل، بينما آلاف المشاريع والاحتياجات مثل ما ذكرنا تبقى بلا دعم لا لسبب إلا لأنهم لم يستدلوا الطريق على متبرع ساذج يحسن الظن بكل من يطرق بابه.

هذه الخلوة ليس فيها إلا سرير بدون أرجل. وضع الشيخ مكان الرجل طابوق يجلس عليه عندما يدرس الطلبة مثل الطفلة تهاني، الذين يجلسون على الأرض الترابية بلا مظلة تقيهم من الشمس والمطر يتمنى الشيخ أن يقدم وجبة إفطار كل يوم لكل طالب من الفقراء لأن الكنائس في المناطق المجاورة توزع فطوراً يومياً وهو لا يحلم بالكثير إذ يكفيه أن يطعم كل طفل من طلبة القرآن بوجبة تكلف ١٩ هللة يومياً.أين نحن من إخواننا المحتاجين الذين لا يجدون ما يسترون به عوراتهم وفي دواليبنا العديد من الفساتين؟ أين نحن من آلاف المسلمين يموتون جوعاً لأنهم لم يجدوا حتى الحشيش ليأكلوه ونحن نلقي بالكثير من الطعام في القمامة بعد كل وجبة[٦].

« امرأة لا تملك إلا ثوباً واحداً »

المرأة أكثر تعاطفاً وأسهل في تقبل دين الإسلام وإذا تمكن الإسلام في قلبها فإن من الصعب جداً أن تترك هذا الدين. قبل أيام زرت قرية اسمها أمباسيكا في جنوب شرق جزيرة مدغشقر حيث أقيم مهاجراً ومتفرغاً للدعوة مع زوجتي.

تعرفنا على فاطمة تلك الفتاة التي أسلمت قبل مدة ولكنها أخفت إسلامها خوفاً من انتقام أهل القرية وعدائهم فالجميع هنا وثني أو مسيحي، لأنها تعرف أن ضغوط الأقارب وأهالي القرية كفيل بإعلان الردة، حدثناهم عن الإسلام فسروا بحديثنا، وأعلنوا أنهم لن يعارضوا أي شخص يود الدخول في الإسلام. طلبت فاطمة من زعيم القرية أن يجتمع مع الأهالي، وقالت أنها مسلمة تخفي دينها من زمن بعيد، وقالت أن القرية لها أعراف تخالف دينها الإسلامي منها على سبيل المثال أنه في أثناء الاحتفالات يجب على الجميع أن يرقص ومن يرفض يغرم بغرامة كبيرة من الأهالي...تم الاجتماع مع الأهالي ووقفت فاطمة لتعلن إسلامها أمام الجميع ثم بدأت تشرح موقف الإسلام من الرقص في الحفلات وناشدت الأهالي بطريقة حكيمة أن يتم العفو عن من يدخل في الإسلام لعدم مشاركته في الرقص. تناقش الأهالي ثم قبلوا طلبها فأسلمت معها ١٢ فتاة من أهالي القرية فلله در فاطمة، ولو كان عندنا فاطمة في كل قرية لانتشر دين التوحيد وخرج الناس من الظلمات إلى النور.

قبل أن نغادر القرية طلبت منا كتبا باللغة الملا غاشية عن الإسلام، وأن نرسل داعية يعلمهم، ونبني لهم مسجداً في قريتهم وتعهدت بأنها ستبذل جهدها لنشر الإسلام بين جميع الأهالي. لم

[٦] مجلة حياة العدد (٦٥) رمضان ١٤٢٦هـ

يمنعهم فقرهم وجوعهم عن السير وسط المعاناة من أجل هذا الدين.. لازلت أذكر تلك الفتاة التي كانت ترتاد دروس زوجتي (أم صهيب في قرية جازونا) في ملاوي، وكانت حريصة كل الحرص على حضور الدروس، لكنها تغيبت يوماً وجاءت آخر الدرس بثوب يقطر منه الماء معتذرة أنها غسلت ثوبها اليوم ولا تملك ثوباً غيره لذا بقيت طول ما تبقى من الدرس واقفة حتى لا يتسخ المسجد.

وتلك المرأة المؤمنة في إحدى قرى مرسابيت شمال كينيا التي رفضت أن تسلم مع زوجها، ما لم يتعهد الزوج بالحفاظ على شرائع الإسلام علناً أمام الناس، ويفعل الزوج ذلك، ولكن شياطين الإنس يقدمون له الإغراءات المادية، ويتعهدون له ببناء بيت له لو تنصر، ويقدمون له راتباً شهرياً، ولم يستطع المقاومة أمام سيل الإغراءات فانهار تدريجياً أولاً الصلاة في المسجد ثم الصلاة في البيت ثم باقي شعائر الإسلام الأخرى، جمعت خديجة هذه المرأة المؤمنة أهالي قريتها تحت شجرة لتخبرهم أنها ستترك زوجها إن لم يعد إلى الإسلام وأنها ترفض السكنى في بيت بناه القسيس.. ويؤيدها أهل القرية رغم أن كلهم من المسلمين الجدد، ويقررون بناء بيت جديد من الطين لخديجة وزوجها إذا قرر التوبة ويعلن أمام الملأ، رفضه لكل الإغراءات قائلاً أنه وقع في حبائل الشيطان فلله درك يا خديجة رفعت رؤوس كل المهتديات الجدد[٧].

« خاص بالبنات فقط »

قمنا ببناء مدرسة ثانوية للبنات في دولة مسلمة في إفريقيا بتبرع من أهل الخير في أرضنا الطيبة، ورغم أننا أخذنا الأذن المبدئي مكتوباً وتم البناء إلا أن الجهات المسؤولة عن التعليم رفضت لنا فتح المدرسة لأنها مخصصة للبنات فقط بينما كل المدارس مختلطة ورغم أن البلد ١٠٠% مسلمون، إلا أنهم أصروا على الاختلاط. لذا لجأنا إلى الأهالي وأولياء الأمور وبعد عدة سنوات وافقت الجهات المسؤولة على فتح مدرسة خاصة بالبنات ولله الحمد.

الشيء الغريب أن بنات علية القوم ومنهم وزراء ومسؤولون كبار سجلوا في مدرستنا رغم بعد بيوتهم عن المدرسة، ورغم أن المدارس الحكومية مجانية بينما مدرستنا كانت تطلب رسوم.
وفي مواقف كثيرة رأينا تصرفات شبيهة، ويبدو أن كبار المسؤولين يخافون اتهامهم بالرجعية لذلك لابد من اتخاذ مواقف سلبية تجاه القيم الإسلامية، رغم أنهم مقتنعون قلبياً بما نفعل ويوضح هذا صعوبة الطريق للعاملين في ميدان الدعوة وحاجتهم إلى أقصى درجات الحكمة في تصرفاتهم.

[٧] مجلة حياة العدد (٧٤) جمادى الآخر ١٤٢٧هـ

لازلت أذكر كيف أنه قد تم إنذاري وتهديدي من قبل حكومة أنغولا بعدم بناء أي مسجد وأنا متأكد أنهم لا يعرفون ما هو المسجد لكنهم يكرهونه إما لأن بعض أعداء الإسلام شحنوهم بالحقد والكراهية أو لأن بعض الشباب المتحمس في بلادنا حاول بناء مسجد دون اتباع الطرق الصحيحة في استخراج الأذونات وغيرها. الحمد لله استطعنا بناء عدد من المساجد دون أية مشاكل لمجرد أن طلبنا الأذونات تحت مسمى كنائس...!! وهي الآن تعج بالمصلين..
طريق الدعوة وهو غير مفروش بالزهور وليس من زاد فيه إلا التقوى واتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة[٨].

« ملايين النعم»

مريم سليمان امرأة عربية مسلمة من قبائل البديرية في غرب السودان قتل زوجها في حرب دارفور، وترك لها أيتاماً لا يملكون شيئاً وأنا أعني ذلك تماماً، رأيناها في حي الرحمة العشوائي في غرب أم درمان بالسودان، ينامون على الطين ويلتحفون السماء هي وإيتامها، قلنا لها إن كانت تملك وثيقة ميلادهم وشهادة وفاة زوجها حتى نكفل أيتامها فبكت قائلة: (عندما هربت من قريتي تركت ما هو أهم من الشهادات، تركت جثة زوجي دون أن أدفنها وتركت كل شيء ورائي فكل همي كان إنقاذ من أستطيع إنقاذه من أولادي) تركناها والحسرة تملأ قلوبنا أن لم نستطع كفالة أيتامها أو مساعدتهم.
أمثال مريم ملايين المسلمات في أفريقيا رأيناهم في الصومال وكينيا وإثيوبيا ومالي وسيراليون وموزمبيق وأنغولا وليبيريا وغيرها.
بعد هذا كله ألا تستحق نعمة الله علينا الشكر والحمد؟
إذا غلبنا النوم والنعاس أوينا إلى فرشنا الدافئة، وإذا جعنا ذهبنا إلى المطبخ والثلاجة، وإذا مرضنا ذهبنا إلى الطبيب.. أبعد هذا كله نشتكي وقد منَّ الله علينا بما هو أعظم، ألا وهو نعمة الإيمان والإسلام، كان من الممكن أن نعيش مثل هؤلاء الذين يعيشون في مجتمعات بعيدة عن الله حياة أقرب إلى حياة البهائم، راحة بدنية وشقاء وفراغ روحي. الشكر هنا لا يكون بالقول والدعاء وحده ولكن "اعملوا آل داود شكراً".. واجعل لإخوانك من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ممن يعانون، نصيباً من همك الذي يستيقظ معك ويرافقك في الفراش عند النوم، وتذكر أن الله مهما سلب منك هذه النعمة أو تلك، قد أعطاك ملايين النعم وكلها تستحق الشكر[٩].

---

[٨] مجلة حياة العدد (٥١) رجب ١٤٢٥هـ
[٩] مجلة حياة العدد (٧٥) رجب ١٤٢٧هـ

« اخترت هذا الطريق »

قمنا في كل يوم أخرج للدعوة أقابل صوراً من فتيات ونساء بعن الدنيا واشترين الآخرة، يذكرني ذلك بقصص من سيرة أبناء وبنات مدرسة النبوة.

أذكر تلك الفتاة وحيدة أبويها تربت في بيت مسيحي متدين، لم يبخل عليها والدها بشيء، تعلمت حتى السنة النهائية في الثانوية، تأثرت بزميلاتها المسلمات، ودخلت في نقاشات كثيرة معهن، حتى بدأ الإقناع يتسلل إلى قلبها، ولكنها تعلم أن إسلامها يعني صدمة كبرى لأبويها.

استمر هذا الصراع النفسي معها مدة، حتى اتخذت قراراً بعدم العودة إلى بيت أهلها، حتى لا تصاب الأم بالهلع عندما ترى وحيدتها بالحجاب الإسلامي وضحت بأهلها وفضلت البقاء بدون دعم لدراستها وبدلاً من الجامعة التي كانت تتمناها فضلت البقاء في كوخ من القش لأنها لا تستطيع دفع رسوم الدراسة الجامعية.

أمينة فتاة أخرى أسلمت وهي صغيرة وأصرت على البحث عن مدرسة إسلامية للبنات، وبعد ٦ سنوات من الدراسة، قررت وهي فتاة أن تهجر المعهد بل وتهجر الأب والأم وتنطلق في الدعوة إلى الله مشياً على الأقدام أكثر من ٦٠ كيلو متراً وعثرت على قرية أسلم فيها بعض السكان واشتكت لها النسوة أنه لا أحد يعلمهن أمور دينهن فتقرر البقاء في القرية ويساعدنها النسوة في بناء عشة من الطين لسكنها وتبقى أمينة بدون مصدر رزق سوى ما تتصدق به عليها نساء القرية، مقابل تدريسها مبادئ الإسلام للأطفال والنساء، تأكل يوماً وتجوع أياماً، لم تشتكِ يوماً ظروفها الصعبة لأحد، فهي التي اختارت هذا الطريق، ولم يجبرها أحد .. لقد دخلت عشتها فلم أجد سريراً ولا فراشاً ولا ملابس زيادة عما تلبسه، علمتني أمينة كيف تكون القيم عندما ترى الجنة أمامها يسهل عليها كل صعب في هذه الحياة. وهي الفتاة التي ضحت بأهلها وقريتها ورضيت بالحياة فقيرة من أجل هداية الآخرين[١٠].

« تركت جثة زوجي »

[١٠] مجلة حياة العدد (٧٨) شوال ١٤٢٧هـ

مريم سليمان امرأة عربية مسلمة من قبائل البديرية في غرب السودان قتل زوجها في حرب دارفور، وترك لها أيتاماً لا يملكون شيئاً وأنا أعني ذلك تماماً، رأيناها في حي الرحمة العشوائي في غرب أم درمان بالسودان، ينامون على الطين ويلتحفون السماء هي وإيتامها، قلنا لها إن كانت تملك وثيقة ميلادهم وشهادة وفاة زوجها حتى نكفل أيتامها فبكت قائلة: (عندما هربت من قريتي تركت ما هو أهم من الشهادات، تركت جثة زوجي دون أن أدفنها وتركت كل شيء ورائي فكل همي كان إنقاذ من أستطيع إنقاذه من أولادي، والحسرة تملأ قلوبنا إن لم نستطع كفالة أيتامها أو مساعدتهم. أمثال مريم ملايين المسلمات في إفريقيا، رأيناهم في الصومال وكينيا وإثيوبيا ومالي وسيراليون وموزمبيق وأنغولا وليبيريا وغيرها.

بعد هذا كله ألا تستحق نعمة الله علينا الشكر والحمد؟ إذا غلبنا النوم والنعاس أوينا إلى فرشنا الدافئة، وإذا جعنا ذهبنا إلى المطبخ والثلاجة وإذا مرضنا ذهبنا إلى الطبيب.. أبعد هذا كله نشتكي وقد منَّ الله علينا بما هو أعظم، ألا وهو نعمة الإيمان والإسلام، كان من الممكن أن نعيش مثل هؤلاء الذين يعيشون في مجتمعات بعيدة عن الله حياة أقرب إلى حياة البهائم راحة بدنية وشقاء نفسي وفراغ روحي..

الشكر هنا لا يكون بالقول والدعاء وحده ولكن "اعملوا آل داوود شكراً".. واجعل لإخوانك من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ممن يعانون نصيباً من همك الذي يستيقظ معك ويرافقك في الفراش عند النوم، وتذكر أن الله مهما سلب منك هذه النعمة، أو تلك قد أعطاك ملايين النعم وكلها تستحق الشكر[١١].

« أحلم بالجامعة»

في أفريقيا تصادفنا باستمرار قصص مأساوية يجب أن نقابلها بالحمد والشكر لله كثيراً، على ما أنعم به علينا من نعم لا تعد ولا تحصى، وللنظر إلى قصة فتاة اسمها مريم جيري من قبيلة كامبا في وسط كينيا.

[١١] مجلة حياة العدد (٦٦) شوال ١٤٢٦هـ

مات والد مريم وهي في الصف الثالث الابتدائي، وترك لها أماً مريضة وما أن أنهت الصف الثامن ابتدائي حتى ماتت أمها وبحثت يمنة ويسرة فلم تجد إلا خالتها الفقيرة التي لها سبعة أولاد وتعيش في حي من أفقر أحياء مدينة نيروبي في كينيا ورغم نجاحها بعلامات عالية جداً في المرحلة الابتدائية وقبولها في إحدى أرقى الثانويات وهي ميزة لا يحصل عليها ٧٥% من الطلبة في كينيا... ولكن من أين لها تكاليف الدراسة وهي كبيرة جداً وهي تنام مع خالتها وأولاده خالتها أغلب الليالي على الجوع وتنام على الأرض تمشي حافية لأن حذاءها الوحيد مخصص للذهاب إلى المدرسة. بدأت المدرسة تطالبها برسوم الدراسة وكانت مريم تنتظر معجزة إذ أن من المستحيل أن تسدد حوالي ١٧٠٠ ريال سعودي واستعطفت المحسين بلا جدوى وأخيراً طردت من المدرسة رغم تفوقها الدراسي.جاءت خالتها إلى مكتبنا في كينيا وبكت أمامنا ومعها شهادة مريم تأكدنا من تفوقها وزرنا بيتها للتأكد من حالتها المادية ثم كفلناها بأموال بعض المحسنات، وسارت مريم في مشوار حياتها الدراسية تحصد الشهادات حتى تخرجت من الثانوية وهي الآن تحلم مجرد حلم أن تدخل الجامعة التي قبلتها ولكن منحتها قد انتهت[١٢].

« القوافل الدعوية »

البرامج الدعوية الناجحة جداً تلكم القوافل الدعوية التي نزور فيها العديد من القرى الإفريقية بصحبة مجموعة من الدعاة والمترجمين الذين نتمكن بواسطتهم من تبليغ الدعوة، وشرح أركان الإسلام وأخلاقه وآدابه. وتكون الفائدة كبيرة عندما تعدد مثل هذه القوافل والزيارات المكثفة. وقد تبين لنا من أعداد المهتدين الجدد الذين اعتنقوا الإسلام خلال الربع الأخير من القرن الماضي أنه لم تخل قافلة من جميع القوافل الدعوية التي تنظمها، من أفراد وثنيين كانوا أو نصارى يعلنون إسلامهم بالعشرات أحياناً. وأورد هنا على سبيل التمثيل لا الحصر قصة زعيم الملوك في بلدة، (تنكو دوغو) واسمه (تابا ساغا). كان قد تنصّر عن طريق المدرسة التابعة للكنيسة التي كان يدرس فيها كفالتها إلى أن تخرج من الجامعة.

فعندما زرناه في بلدته لدعوته إلى الإسلام، عجبنا من المكانة التي كان يحظى بها بين قومه خصوصاً من الوثنيين والنصارى، من خلال تحيتهم له وإلقاء السلام عليه في بعض المناسبات الرسمية. فتراهم يخلعون نعالهم ويمشون على أيديهم وأرجلهم أمامه، ويذكرون أمجاده ويفخرون بأسلافه المنعمين، ثم يقدمون له الهدايا والقرابين لتجديد البيعة والولاء والطاعة.

أما المسلمون، فكان يكتفي منهم بالدعاء له حسب شريعة الإسلام. فلما دخلنا عليه، وقدمنا له هدية، وحدثناه عن القافلة الدعوية التي نقوم بها إلى بلدته لتحقيق أهداف نبيلة، رحب بنا ترحيباً

[١٢] مجلة حياة العدد (٦٧) ذو القعدة ١٤٢٦هـ

حاراً، وأمر بنصب خيمة لنا في أحسن موقع من هذه البلدة. وألقى كلمة قصيرة شجعنا فيها على نشر الإسلام. وقد أخبرنا بعض الأهالي أن هذا الزعيم لم يكن من عادته أن يستقبل الزوار بمثل هذه الدرجة من البهجة والسرور التي خصنا بها في ذلك اليوم المشهود الذي لم يكن يسعنا فيه إلا أن نتوجه بالدعاء إلى الله أن يشرح صدره للإسلام.

ومن المساهمات الجميلة التي توجت بها نشاطات هذه القافلة انضمام الملك التقليدي المسلم (إبراهيم سورغو) إليها، ودعوته الناس إلى دين الله الحق.كان إبراهيم قبل إسلامه وثنياً، فلما دخل الإسلام فرّ به أبوه خارج القرية خوفاً عليه من بطش أهلها به .. فقد أبلى معنا في هذه القافلة بلاءً حسناً، وخطب في الوثنيين وقال: "إن الإسلام لا يجبر أحداً على اعتناقه مصداقاً لقوله تعالى"(لا إكراه في الدين) ونحن لن نكذب على أحد أو نغريه أو نضغط عليه حتى يكون مسلماً. ولكن دعونا نعلم أبناءكم ونساءكم مكارم الأخلاق والفضائل، ولا تمنعوهم من اعتناق الإسلام إذا اقتنعوا به وأحبوه، واعلموا أن هذه المنطقة لن تنعم بمستقبل زاهر آمن إلا بكلمة التوحيد.

وانظر أخي القارئ إلى كلمة الإسلام عندما تستقر في موضعها المناسب من نفس غير المسلم، فتوقظ فيه فطرة الله، وتحوله إلى كتلة من الحكم البليغة.. وهاك مثالاً لزعيم وثني أسلم فقال: مثل الإنسان في هذه الدنيا كمثل راع في صحراء، اشتد به العطش وقطيعه حتى كاد الجميع يهلك ثم وجد الماء. فكذلك حال الراعي في الضلال الذي وجد الإسلام" فأي فرحة أعظم من فرحة بنعمة الإسلام؟!.

إنها كلمة الحق التي جعلت بعض الناس يسعون إلينا من أماكن بعيدة مشياً على الأقدام أو ممتطين دوابهم حتى ينهلوا من معين قافلتنا. فهذا أحد المهتدين الفقراء لما أقبل علينا وأعلن إسلامه قدمنا له ملابس جديدة وأخرى مستعملة، فقدمها بدوره هدية لمن هو أشد منه حاجة مكتفياً بهدية الإسلام على حد تعبيره[١٣]..

« مساعدات دائمة»

حسن عويو تخرج من معهدنا الشرعي في شمال كينيا بعد دراسة ٤ سنوات وتفرغ لدعوة قبيلته في صولولو محتسباً .. فقير مسحوق زاهد في ملذات الدنيا لا يملك إلا ثوبه الذي يلبسه ترك زوجته في بلده مرسابيت وذهب للدعوة. شعرنا أن تضحية هذا الزاهد في ملذات الدنيا يجب أن لا تمر بدون تدخل منا .. دربنا زوجته فاطمة روبا على الخياطة ثم أهديناها ماكينة خياطة لتعيش منها وبهذا وفرت دخلاً لها ولأسرتها بعد ما كانت تنام الليلة والليلتين جائعة بسبب الفقر.

[١٣] مجلة حياة العدد (٥٦) ذو الحجة ١٤٢٥هـ

يوبو دايدا وزوجها كانا كاثوليك إلى قبل ٣ أشهر ثم أسلما بعد شهرين من إسلامها، أخذ الله أمانة زوجها الذي توفي نتيجة مرض لم يستطيع علاجه وتركها ومعها ٧ أيتام صغار في قرية جيلوسكيم ونظراً لفقره لم يترك لهم نقيراً. اشترينا لهم أربعة رؤوس من الماعز يشربون من حليبها فأدخلت السرور إلى قلوبهم وتغيرت أوضاعهم من حال إلى حال. هذه مجرد أمثلة على مبالغ صغيرة غيرنا فيها أوضاع بعض المساكين الذين لا نؤمن نحن بتوزيع الأغذية عليهم بل بجعلهم أفراداً منتجين لمد أيديهم للناس. شكراً من الأعماق وجزاكم الله كل خير يا من مددتم أيديكم لهؤلاء وأمثالهم.

يوسف غلغالو داعية ذو عيال أعطيناه ثوراً يؤجره ٦٠ دولاراً بالشهر للمزارعين، إبراهيم معلم قرآن اشترينا له شبكة لصيد السمك، الداعية هارون يارا داعية محتسب اشترينا لزوجته خزان ماء بلاستيك لتتمكن من الزراعة خاصة وأنه لا يملك درهماً ولا ديناراً.

إن استراتيجية العمل الخيري يجب أن يعاد النظر فيها فما نعطيه من طعام ينتهي مفعوله بعد ٢٤ ساعة .. ولكن ما نعلمه من حرف يبقى أثره أمداً طويلاً، طبعاً أنا لا أكتب عن المجاعات التي لا مجال فيها إلا بتوزيع الطعام ولكن أكتب عن الفقر والعوز.

وأهدي قصة المهتدين الجدد سالم كتانا وعمر كهندي اللذين كانا قبل إسلامهما ينقلان الخمر لحساب أحد التجار مقابل ٥٠ شلن يومياً ولما عرفا حكم الإسلام في حمل الخمر فضلا الجوع على الحرام.

ساعدناهما بعربة وأصبحا حرين بدينهما وتجارتهما وزاد دخلهما إلى ٣٠٠ شلن يومياً. يقول عمر إن أهل قريتي لم يصدقوا أن إخواني المسلمين أهدوني عربة إذ أنهم يقولون أن المسيحيين وحدهم يفعل ذلك[١٤].

« اعمل خيراً تجد خيراً »

كثير من الناس يكثر التفكير في تربية الأولاد في هذا المجتمع المليء بالمشاكل والمغريات لأبنائنا ولهم الحق في ذلك، وأود هنا أن أذكر تجربتي الشخصية في هذا الموضوع فقد تزوجت من ٣١ سنة رزقني الله بنتي الأولى أسماء بعد ذلك بسنة رزقني الله بأربعة من الأبناء بعدها.

بدأت عملي الخيري في إفريقيا منذ ٢٦ سنة تقريباً وأعترف بأنني مع الأسف انشغلت عن زوجتي وأولادي معظم هذه الفترة .. كنت لا أراهم فترة طويلة إلا في إجازة الصيف حيث تشاركني زوجتي أم صهيب والأولاد في رحلاتي إلى إفريقيا حيث يشاركوني الجوع والنوم في المساجد والمعيشة في الغابات والمرور بظروف معيشية صعبة، في بعض الأحيان كانت أهم

[١٤] مجلة حياة العدد (٧٣) جمادى الأولى ١٤٢٧هـ

أمنية لهم أن يأكلوا أي شيء ساخن مثل بيضة أو بطاطس بدلاً من أكل الموز ٣ مرات يومياً لعدة أيام كان أولادي الصغار ينشأون بعيداً عني فأنا أقضي خارج بلدي حوالي عشر أشهر في السنة وكان الصغار لا يعرفونني ويعتبرونني غريباً، لذا فهم يهربون مني، وما إن يتعرفوا علي أبيهم حتى أسافر من جديد وأغيب عنهم وتتكرر القصة مرة ثانية.

من الواضح أن الله سبحانه كأنه قد قال إنك تعتني بأيتامي من إفريقيا لذا سأعتني بأولادك بطريق بعض المسلمين. كان العديد من الأخوة والأخوات وبعضهم لا نعرفهم يطرقون بابنا ليقولوا إنهم سيأخذون أولادهم إلى هذا المكان الترفيهي أو ذاك، ويودون أخذ أولادنا مع أولادهم.تخرج أربعة من أولادي والخامس على وشك التخرج وأسماء أستاذة هندسة الكمبيوتر في الجامعة وأنتي أعرف مكاناً ترفيهياً واحد في الكويت بل حتى في إفريقيا ولكن الله كان أكثر من كريم معي ومع عائلتي وأطفالي.يفترض في زوجتي التي ذاقت المر في حياتها معي ومرت بامتحانات كثيرة نتيجة عملي وذاقت الجوع والمرض وصعوبة وشظف الحياة أن تكون غاضبة، زعلانة من حياتها ولكنها على العكس، حولت كل هذه التي يسميها الناس مشاكل وصعوبات إلى إيجابيات وهي تشجعني على المضي بل وتشجع أولادها كذلك، وبدأت تنظر إلى حياتنا نظرة إيجابية كلها مدعاة للفخر ولاعتزاز[١٥].

« نتائج تفوق الأديان الأخرى »

كتبت في مرات سابقة عن مشروعنا لأسلمة منطقة مكلوندي في جنوب النيجر التي يسكنها ٢٠٠ ألف شخص نصفهم مسلمون بالاسم لا يعرفون شيئاً عن الإسلام إلا الاسم، ويسلم العديد من الناس في كل رحلة دعوية لهم نقوم بها وعادة نعلمهم أمور العقيدة والعبادات وحقوق الأزواج والزوجات والجيران واللبس الشرعي للرجل والمرأة.

وفي إحدى القرى وأظنها قرية كولبو تحدثنا معهم ليوم كامل ثم انتقلنا إلى قرية أخرى وبعد سنة زرناهم مرة أخرى وكم كانت سعادتنا ونحن نرى العديد من أخواتنا المهتديات وهن في حشمة ووقار وحمدنا الله مبدل الأحوال بعد العري عندما كن وثنيات ومسيحيات وانتقلن إلى حشمة الإسلام. لا أدعوك ابنتي إلى الذهاب معنا إلى غابات أفريقيا وصحاريها للدعوة هناك ولكن أطلب منك أولاً الدعاء لمن يذهب وثانياً تخصيص جزء من وقتك وجهدك ومالك للدعوة إلى الخير بالحكمة وتذكري فمن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

وتذكري أن الانتقال إلى الإسلام في كثير من القرى يستدعي تغييراً كبيراً في حياتهم وعلى سبيل المثال في قرية كولبو في ماكلوندي كانت المرأة مستعبدة تقوم بكل الأعمال الشاقة من زراعة

---

[١٥] مجلة حياة العدد (٧٢) ربيع ثاني ١٤٢٧هـ

وحصاد وبيع وتنظيف وأعمال المنزل ورعاية الأطفال ولكن استجابة لتوجيهات دعاتنا تغيرت نظرة أهل القرية للمرأة وحفظوا كرامة النساء وأكدوا الالتزام بتكريم الإسلام للمرأة.

إن مشروع أسلمة ماكلوندي في جنوب جمهورية النيجر الذي بدأ منذ سنة تقريباً ورغم قلة الإمكانيات المالية إلا أننا ببناء ٣ مساجد وتعيين ٣ دعاة لخدمة أكثر من ١٥٠ قرية في المنطقة ورغم تواجد أكثر من ١٠٠ داعية للمسيحية من الغربيين منذ سنوات وعشرات الكنائس مع سيارات ووسائل مواصلات وغيرها إلا أن أكثر من عشرة آلاف شخص قد أسلموا فكيف لو توفرت إمكانيات أكثر وتم تعيين دعاة وبناء مساجد ومدارس ومعهد شرعي.

ما حدث في ماكلوندي يمكن أن يتكرر في أماكن أخرى لو توفرت الإمكانات فهناك عطش شديد لمعرفة الإسلام والأمر بين أيدينا نحن المسلمين ونستطيع أن نصحح الكثير من المفاهيم الخاطئة في العبادات والعقيدة والأخلاق والمعاملات، وأحصائيات المهتدين الجدد تبين مدى رغبة الأفارقة في اعتناق الإسلام إذ رغم أن الدعوة دخلت حديثاً (منذ سنة تقريباً) ورغم كل الإمكانيات البشرية والمالية للمسيحية إلا أن ما حققناه من نتائج تفوق عمل دام عشرات السنين للآخرين من أصحاب الأديان الأخرى[١٦].

« الدعوة تحتاج للدعم المادي»

كثير من الناس على استعداد للدخول في الإسلام إذا توفر الداعية الذي يحسن إيصال مبادئ الإسلام وأركان الإسلام ويعتمد على الحكمة في الدعوة. المشكلة أن الحاجة كبيرة وكبيرة جداً والإمكانيات المادية قليلة، وتدريب الدعاة في دولهم قليل، أما الدعاة الذين يدرسون في دول الخليج فأغلبهم تحولوا إلى تجار يجمعون التبرعات من السذج في بلادنا بحجة بناء مراكز إسلامية ومدارس وأساءوا استخدام هذه الأموال بعد أن فقدوا حياة الرفاهية التي عودناهم عليها في الخليج.

في شرق القارة الإفريقية وغربها يستغرب المهتدون الجدد لأنهم كانوا يظنون أن دخول الإسلام واعتناق هذا الدين يتطلب مبالغ كبيرة وهم فقراء. لأن تجار الدين عودوهم على ذلك. ولهذا انتشر الجهل في كثير من الأماكن.

ومن يصدق أن المسلمات في قرى في جنوب النيجر مثل قرية ثبي لا يعرفن الطهارة لأنهن لا يعرفن كيف يتطهرن من الجنابة والحيض وتمضي حياتهن على غير الطهارة. في منطقة مكلوندي في جنوب النيجر يوجد ٢٠٠ ألف نسمة نصفهم مسلمون لا يعرفون الصلاة ولا الصوم بل لا يعرفون شهادة لا إله إلا الله.

---

[١٦] مجلة حياة العدد (٦٤) شعبان ١٤٢٦هـ

بدأنا نرسل لهم قوافل دعوية لشرح مبادئ الإسلام وأذكر أن العشرات يدخلون دين التوحيد في هذه القوافل الدعوية ومؤخراً أسلم ثلاثة وعشرين من الوثنيين والمسيحيين في قرية غربونكو لأنهم استمعوا إلى دروس في أساسيات الإسلام وأركانه الخمسة والأركان الستة للإيمان وذلك بعد قافلة دعوية استهدفتهم وقد أرسلنا إلى منطقة ماكلوندي عشرة قوافل لكن حاجتهم إلى مئات منها لتغطية المنطقة ثم لتثبيت إيمان من أسلموا.

ومثلها قرى كثيرة أسلم فيها العديد من الأخوة والأخوات وهم بحاجة إلى من يعلمهم أحكام الإسلام وتبقى مشكلة دعم القوافل الدعوية التي تحتاج إلى مواصلات وطعام ورواتب دعاة وكتب .. إلخ. ومئات الألوف من الناس ينتظرون في إفريقيا وغيرها من يقدم لهم دين التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة[١٧].

« ليلة البلاء »

نضطر في كثير من الأحيان لزيارة مناطق نائية في أفريقيا إما لمعرفة الوضع هناك أو لمتابعة مشروع من جاؤوا إلى جمهورية مالاوي لزيارتها ضيوفاً علينا وأخذناهم إلى منطقة متخلفة ليس فيها طرق ولا مدارس خلف جبل زوميا وكان الطريق ترابياً تتخلله بعض الجداول والأنهار وسيارتنا كانت حافلة صغيرة وقديمة جداً حملتنا على الطريق أما على الجداول فلم تستطع الحافلة المرور وكنا نضطر إلى حمل السيارة ونقلها إلى الجانب الآخر من الجداول، وكان الحرج أشده بسبب أننا كلفنا إخواننا من جنوب أفريقيا الكثير من الجهد وتمزقت ملابس بعضهم وسقط البعض في ماء الجدول ومعظمهم من رجال الأعمال ومن العلماء لكن أدبهم الجم أذهب الحرج عندنا بضحكهم على موقفنا.

وذات مرة ذهبت إلى قرية في جنوب مدغشقر لزيارة مسجد أقمناه لأحد المحسنين رغم تحذيرات مكتبنا هناك بأن المطر بدأ ينهمر واستطعنا الوصول بصعوبة بالغة ولما حاولنا العودة بعد أن قمنا بحث الأهالي على الالتزام بالدين والمحافظة على قيم الإسلام فاكتشفنا صدق تحذير مكتبنا إذ تحولت الطرق إلى أنهار من الوحل لا يمكن اجتيازها وكانت ليلة ليلاء ذقنا فيها أنواعاً من المشاكل من جوع وعطش وعناء وجهد وعدم النوم حتى وصلنا إلى مكتبنا بعد أن تحولت رحلة الساعة والنصف إلى أكثر من ١٤ ساعة، ملابسنا كلها وحل ولم نصدق أن هناك راحة في هذه الدنيا إلا بعد أن استلقينا على الفراش الناعم حيث نسينا أننا كنا ننام عليه قبل الرحلة[١٨].

---

[١٧] مجلة حياة العدد (٦٢) جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ

[١٨] مجلة حياة العدد (٤٨) ربيع ثاني ١٤٢٥هـ

« نعم المرأة خديجة »

خديجة امرأة نصرانية هداها الله للإسلام مع زوجها عثمان علغالو من قرية روبا كادي في شمال كينيا قبل سنتين، كان الرجل داعية نصرانياً نشيطاً لا يعرف الكلل قبل إسلامه يزور القرى داعية لدينه النصراني، أما خديجة فقد كانت مكلفة بقرع الطبل في الكنيسة ضمن الفريق الموسيقي المرافق لأغاني وصلوات الكنيسة.

عندما عرضنا الإسلام على خديجة رفضت قائلة لزوجها لن تسلم حتى ترى منه ثباتاً على الدين الجديد، وبعد إسلامها بدأت الضغوط المالية والنفسية من الكنيسة والقس المقيم في المدينة القريبة الذي ما يفتأ يغريهم ويساومهم وكل ما يطلبه منهم أن يرتدوا عن الإسلام حتى لو أصبحوا وثنيين ذكر لهم أن رواتبهم من الكنيسة قد انقطعت وأن المسلمين أعجز وأفقر من أن يدفعوا لهم شيئاً ويعيشوا منه ثم وعدهم ببناء بيت لهم أسوة بغيرهم، وأن يعطي كل عائلة ترتد عن الإسلام مبلغاً ما يعادل (٩٧٥) ريالاً سعودياً لتأسيس مشروع صغير يعيش منه الشخص وأولاده.

ازدادت الإغراءات من الكنيسة وزاد جوع عثمان وأولاده، أحست خديجة أن زوجها لا يؤدي الصلوات في مسجد القرية بانضباط كما كان يفعل، فعلمت خديجة بأن إغراءات القس قد نجحت مع زوجها، فما كان منها إلا أن جمعت المسلمين كلهم في القرية وقالت لزوجها أمامهم أنه في حالة أنه ارتد عن الإسلام فستطالب بالطلاق ولن تكون زوجته بعد ذلك. أمام هذا الموقف الإيماني الصلب من خديجة اضطر الزوج للاعتذار علناً والتوبة مما كان يعزم القيام به، ورجع للمسجد كما كان من قبل وبدأ يصلي الصلوات الخمس بالمسجد أما البيت الذي وعد به القس فقد قام المسلمون في القرية ببنائه واشتركوا جميعاً في بناء بيت من الطين والخشب وقامت خديجة بتبليطه بالطين، وازدادت مكانة واحترام خديجة وسط الأهالي ولا تفوتها حالياً الصلاة في مسجد القرية مع النساء، طلبت منا خديجة عندما زرناها باباً من الخشب وسريراً لأولادها وفرشاً لهم ورأس مال بسيطاً تبدأ معه في بيع الأطعمة على قارعة الطريق حتى لا يفكر زوجها أبداً بأن الإسلام دين الفقر كما قال له القسيس.

إعجاباً لموقف خديجة دخل الإسلام ثلاثة وثلاثون شخصاً من الوثنيين والنصارى في القرى[١٩].

« المسلمون الجدد »

الاهتمام بالمسلمين الجدد قد يكون مدخلاً نحو نشر عقيدة التوحيد وتثبيت الإسلام في قلوبهم وإعطاء فكرة طيبة عن هذا الدين العظيم.

[١٩] مجلة حياة العدد (٥٥) ذو القعدة ١٤٢٥هـ

واذكر تأكيداً لما ذكرته قصة قيامنا بتوفير إفطار في رمضان ودعونا كل السلاطين وشيوخ القبائل حتى غير المسلمين في معسكر بانيتو للنازحين في الخرطوم من باب تأليف قلوبهم، وبعد الإفطار هممنا بتقديم المحاضر فإذا بأحد الحاضرين يقوم ويتكلم عن الإسلام وأركانه بأسلوب جميل وعربية بسيطة استمر لمدة نصف ساعة وأنصت الجميع لما يقول بدون ملل.

بعد انتهاء الحديث سألنا السلطان عبد الباقي وهو أحد السلاطين المسلمين عمن يكون هذا الشخص، فقال إنه من قبائل جنوب السودان وتحديداً قبائل الزاندي الوثنية والنصرانية وقد دخل دين الله قبل ٦ أشهر وإنه يحب الإسلام والمسلمين وتغيرت حياته تماماً بعد الإسلام وأصبح متحمساً بشكل كبير للدعوة.

وقال لنا الأخ إنه مستعد للعمل الدعوي متطوعاً في أي مكان لنشر الإسلام وأن المئات من الوثنيين والنصارى دخلوا الإسلام من خلال نشاطه البسيط منذ أن تذوق حلاوة الإيمان.

وأكمل السلطان عبد الباقي وقال: إذا لم نهتم بهؤلاء المهتدين الجدد فلا نلوم إلا أنفسنا عندما ينحرفون وقد يرتدون مثل مؤذن مسجد حي النهضة في معسكر بانيتو للنازحين الذي أسلم فلم يجد من يهتم بتقوية مفاهيمه عن الإسلام وكاد يموت من الجوع ولم يستطع المسلمون مساعدته لفقرهم، ولكن الكنيسة بدأت تعطيه الطعام ومساعدات مالية وشيئاً فشيئاً استطاعوا تنصيره فقد كان فقيراً في كل شيء في فهمه للإسلام وعقيدته السهلة وفي قدراته المالية.إن تزويد هؤلاء بوسيلة يعيشون منها مثل دكان أو بسطة يبيعون عليها الحلويات أو الخضروات لا تكلف أكثر من ١٢٠٠ ريال سعودي وتساهم في تثبيت القياديين من المسلمين الجدد[٢٠].

« ولو بشق تمرة »

يعتقد بعض المحسنين أن أثر إحساسهم يكون قليلاً إذا ما تبرعوا بمبالغ قليلة ومالا يعرفونه أن الله تبارك وتعالى يبارك في تبرعاتهم إلى درجة لا يتصورونها أو هكذا ما نرى في الميدان.

أذكر ذلك حينما أتذكر أن المحسنين يتبرعون بنصف دينار قيمة وجبة إفطار صائم في شهر رمضان الكريم ولا يعلمون أن نضغط على مكاتبنا لتقليل كلفة الوجبة هناك حتى نجعلها وجبتين أو أكثر بسبب طلبات مكاتبنا في أفريقيا للمزيد من الوجبات، ومكتبنا هناك يواجه بضغوط كبيرة من أهالي القرى ورواد المساجد ويخصص وجبات أكثر لهم بنفس كلفة الوجبة التي تبرع بها المحسن هنا، وتنتهي بخمس أو ست وجبات إفطار.

والمسلمون هناك لا يرغبون بوجباتنا لمجرد أنهم فقراء بل إن بعض الأثرياء يصرون على أن يكون لهم نصيب في وجبات العرب أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم وعادة يتبرع الثري بعد

[٢٠] مجلة حياة العدد (٥٧) محرم ١٤٢٦هـ

الوجبة لنا ببضع مئات من وجبات الإفطار نقدمها للمحتاجين، وأذكر في شهر رمضان أننا قدمنا وجبة الإفطار في مسجد قروي ورأينا أحدهم يأخذ بعض اللحم من المرق ويضعه في جيبه وذكرنا له ذلك في نهاية الوجبة فقال إنه طعام العرب.. إنه طعام مبارك من أرض مكة ثم أنني لم أذق اللحم منذ عدة أشهر.وفي مرة ثانية رأيت أحد المعوقين يزحف أكثر من عشرة كيلو مترات للوصول إلى قرية أخرى أقمنا في مسجدها إفطار صائم ووصل بعد صلاة المغرب وبعد أن تناول المصلون الإفطار ولم يبق إلا طعام المشرفين على تقديم الإفطار من مكتبنا فتنازلوا عن طعامهم لصالح هذا المعوق الذي بذل جهداً كبيراً لا لفقره بل للبركة في تناوله طعام العرب من الخليج وحملنا المعوق في السيارة بعد ذلك إلى قريته.

ما أريد أن أقوله لكل محسن أن إحساسك يمضي شوطاً بعيداً في رفع معاناة أو إدخال السرور لمسكين أو فقير أو محتاج مهما كان إحساسك صغيراً[٢١].

« ابني حي أم ميت »

في يوم من الأيام فوجئنا بامرأة تبلغ حوالي الخامسة والثلاثين تبدو عليها آثار السفر وتبدو في حالة تعب شديد ومعها شاب يبدو أنه ابنها. وبعد مقابلتها تبين لنا أنها أم أحد الأيتام المقيمين في المركز وكانت قد تركته مع عمه منذ ٦ سنوات لا تدري عنه شيئاً بعد أن مات أبوه وتزوجت رجلاً آخر يعيش في قرية جبلية على الحدود الغربية في غانا، ولم تدر ابنها حي أم ميت ولها مدة تبحث عنه وانتقلت من مكان لآخر حتى أحضرها ابنها الأكبر الذي يعمل سائق شاحنة إلى المركز.

ما إن وقعت عيناها على ابنها حتى بدأت تبكي بكاءً حاراً شاركها كل المتواجدين وضمت ابنها إلى صدرها. بعد أن هدأت بدأت تتجول مع ابنها في مهاجع الأيتام والمطبخ والمطعم والمدرسة والمسجد وقالت هل ابني يقيم هنا؟ قلنا لها إنه يقيم منذ ٤ سنوات!

فالت كنت أنوي أخذه معي إلى قريتي ولكن بعد أن رأيت المركز فإنني أؤكد لكم أنني لا أستطيع أن أوفر له جزءاً مما وفرتموه له وهي تأمن عليه هنا أكثر مما لو سار معها إلى قريتها، وإن ما رأته يمثل حلماً لكل مسلم حتى لو لم يكن يتيماً فمن يستطيع أن يحصل على هذه الرعاية والعناية.هذا المركز وأمثاله هي مصانع لتخريج قادة المستقبل، وخلال أكثر من ربع قرن استطاعت أمثال هذه المراكز أن تخرج المئات من الأطباء والمهندسين والمحامين والمحاسبين والعلماء وغيرهم.

[٢١] مجلة حياة العدد (٤٧) ربيع أول ١٤٢٥هـ

ترى ماذا يحدث للأمة لو أن زكاة المسلمين استثمرت في بناء الرجال والنساء من أطفال اليوم والأيتام في مراكز مثل هذه، وماذا سيكون حال المسلمين بعد ٥٠ سنة.
لو رأينا النتائج في بعض الدول الأفريقية حيث تخرج العشرات من أولادنا و أيتامنا ليتقلدوا مناصب مرموقة في دولهم بفضل الله[٢٢].

« العمى والدعوة »

من خلال تجاربي الدعوية في أفريقيا لأكثر من ربع قرن تأكد لي أن معاملة الآخرين بالحسنى هي أفضل وسيلة للدعوة. لا زلت أذكر امرأة عمياء في إحدى دول
غرب إفريقيا في العشرينات من عمرها، مسيحية متزوجة وقد أنجبت طفلاً لم تره ولم تر زوجها، فقد فقدت البصر منذ الصغر ومنذ ذلك الحين لم تر أباها ولا أمها ولا إخوتها، فحصناها فوجدناها مصابة بالماء الأبيض (الكاتركت)، عرضنا عليها أن تجرى لها عملية، فوافقت لأنها كما تقول لم تخسر شيئاً أكثر من العمى، وفي اليوم التالي للعملية وبحضور الفريق الطبي والإداريين في مكتبنا، وبحضور حاكم المنطقة الذي لم يكن مسلماً، تم نزع الضماد عن عينيها، وعندما نزعنا الضماد عن عينيها كانت فرحتها عظيمة، وهي تشاهد ابنها للمرة الأولى في حياتها، فانكبت تقبل ابنها ثم تقبل رأس أمها وبدأت تبكي فرحاً وبكى جميع الحضور معها، وبعد أن هدأت أعلنت الشهادتين وقالت أمام الجميع إن الأطباء يعرفون أنها غير مسلمة، ورغم هذا أجروا لها العملية، ولم يحاول أحد فرض الإسلام عليها، قلنا لها أنه لا إكراه في الدين عندنا، ونرفض استغلال حاجات الإنسان لفرض ديننا عليه، عند ذاك لم يتمالك الحاكم نفسه فأسلم وقدم شكره لنا وللفريق الطبي الذي أحضرناه، مبدياً إعجابه بالأطباء المسلمين الذين كانوا يعملون ١٦ ساعة كل يوم بدون ملل، فساهموا في إعادة البصر إلى هذه المرأة وغيرها.
ومرة أخرى في مخيم آخر لعلاج أمراض العمى كان أحد دعاتنا يقوم بخدمة امرأة عجوز مسيحية إلى غرفة العمليات ثم إلى غرفة المنام، وكان يخدمها بإخلاص ولم يلاحظ الداعية أن لها ابنا من القيادات المسيحية يلاحظ من بعيد فسأله الابن كم تأخذ مكافأة على عملك هذا؟
فقال الداعية نحن لا نأخذ أي مكافأة غير رواتبنا العادية،
فقال الابن المسيحي كيف هذا وأنتم تعملون مع الدول العربية في الخليج وهي من أغنى دول العالم؟ وأنا أرى أنك تبذل جهداً خارقاً؟
قال الداعية حتى الأطباء والفنيين والعاملين أمامك يعملون متطوعين
قال القس: إن كان الأمر كذلك، فأشهد أنني مسلم من الآن معكم وأعلن الشهادتين.

[٢٢] مجلة حياة العدد (٨٨) شعبان ١٤٢٨هـ

وفي جنوب السنغال جاءنا مريض وهو رئيس إحدى القرى وكان مسيحياً أجرينا له العملية. وبدأ يبصر بعد اثنتي عشرة سنة من العمى وبعد أن من الله عليه بالبصر جاءنا بعد خمسة عشر يوماً، ومعه سبعون شخصاً من أهل قريته كل منهم يريد أن يقدم شكره لمكتبنا، وأعلنوا جميعاً دخولهم في الإسلام، وكانت الجهات الأمنية قد استنفرت عندما رأوا هذا العدد يسير في شوارع المدينة ظناً منهم أن هناك مظاهرة[٢٣].

« رحلة لا تتوقف »

واجهت مشكلة في بيتي في السنوات الأولى من عملي في إفريقيا، إذ نتيجة لأنني أقضى أكثر من عشر أشهر كل عام تقريباً متنقلاً بين مختلف الدول والمدن والقرى في إفريقيا، بدأ أولادي الصغار يهربون مني كلما دخلت البيت لأني شخص غريب بالنسبة لهم.

كحل لهذه المشكلة قررت أن آخذهم معي في عطلة المدارس إلى إفريقيا وعادة لا أعد لهم برنامجاً خاصاً.. بل يرافقونني مع أمهم في برنامجي الدعوي وعادة لا أقضي أكثر من ثلاث أيام في مكان واحد.

كنا ننام في الصحاري والغابات وفي كثيراً من الأحيان ننام في المساجد، نأكل ما نجده متوفراً أمامنا.

أذكر ذات مرة قضينا سبعة أيام بدون كهرباء ولا ماء في السودان وكان الحر شديداً والرطوبة عالية والبعوض كثير، ولم نتمكن من الاغتسال طوال تلكم الأيام.

وفي مرة أخرى كنا في غابات مالاوي وقضينا خمسة أيام نتنقل من قرية إلى أخرى وننام في المساجد الطينية، نأكل الموز في كل وجبة ولا نذوق غير الموز، فاشتكى لي أولادي من أنهم يشتهون أكل أي شيء غير الموز وسألوني إن كان بالإمكان الحصول على بيض نسلقه.. ورغم محاولاتي لإثنائهم عن هذا الطلب حيث من المتوقع الوصول إلى مدينة بعد يومين ويمكننا حتى أكل الرز والدجاج مثلاً.. إلا أنهم أصروا.. فذهبنا واشترينا من كل خوخ بيضة أو بيضتين على عدد الأولاد ولقد فوجئنا بأن كل البيض كان فاسداً فقلت لهم هذا عقاب من الله لأنكم اشتهيتم ما يصعب توفيره.

لقد كانت أيام متعبة جسدياً لكنها لذيذة نفسياً لأنهم شعروا أنهم يخدمون دينهم وأمتهم[٢٤].

---

[٢٣] مجلة حياة العدد (٧٦) شعبان ١٤٢٧هـ

[٢٤] مجلة حياة العدد (٥٠) جمادى الثانية ١٤٢٥هـ

« من صبر المهتدين الجدد على دين الإسلام »

قمنا ببناء مسجد قرية كلتشا في شمال مدينة مرسابيت في كينيا ودخل أغلب سكان القرية في الإسلام بفضل الله حتى ضاق بهم المسجد ومن عادة الأفارقة أن النساء يحافظن على الصلاة في المسجد ونظراً لضيق المسجد فقد أخرجوا النساء وبنوا لهم عشة من القش يصلون فيها، ونظراً لأن المنطقة صحراوية تكثر فيها الهوام ولانعدام الكهرباء فإن صلاة العشاء والفجر في مصلى النساء تعتبر مخاطرة لكثرة ما في هذه المنطقة من ثعابين وعقارب.

التقينا بفاطمة التي أسلمت قبل ثلاث سنوات ومن المواظبات على الصلوات الخمس في المسجد.. قال لنا الأهالي أن في صلاة الفجر كانت فاطمة تصلي مع الجماعة فلدغتها عقرب.. ولم تشأ فاطمة أن تقطع صلاتها.. واستمرت رغم الآلام الشديدة وفي السجدة الثانية لدغتها عقرب ثانية ومرة ثانية رفضت فاطمة قطع صلاتها وأكملت الصلاة.

هل أخواتنا مستعدات للصلاة في مثل هذا المسجد الكوخ المليء بالأفاعي والعقارب؟ وهل نتحرك قليلاً لبناء مسجد أوسع يتسع لكل المهتدين الجدد في هذه القرية إكراماً لفاطمة وأخواتها اللواتي لازلن يصلين في مسجد كلتشا.

لا زلت أذكر أن عدد المسلمين كان أقل من القليل عندما زرت هذه القرية قبل سنوات ولم يكونوا يصلون جماعة إلا نادراً تحت الشجرة.

وأحمد الله أن الدعوة بالحكمة تغلغلت في نفوس الناس حتى أشهر غالبية أهل القرية الشهادتين[٢٥].

« أخاف أن تلدوا في الإسلام ولا تذوقوا طعم الجاهلية »

تلعب المرأة في العالم الثالث بصورة عامة دوراً كبيراً في دعم الدعوة الإسلامية وإذا ما أسلمت المرأة في الأسرة في إفريقيا فعلى الأغلب ستكون هي المدخل لإسلام بقية أفراد الأسرة

وقد لاحظت ذلك عشرات المرات في الميدان، لكن المرأة في إفريقيا غالباً ما تطلب شروطاً أسعد بسماعها ففي كثير من الأحيان تشترط علينا النساء في القرى أن نزورهم مرات أخرى أو نترك بينهم داعية يساعدهم في فهم أمور دينهن أو أن نترك كتباً تقرأها من ذهبت للمدرسة وتعلمت القراءة والكتابةالمرأة هناك هي المصدر الرئيسي لطعام الأسرة فهي التي تزرع وتبيع المحصول وهي التي تربي الأطفال وتطبخ الطعام وهي التي تتحمل غالبية المسؤوليات في الأسرة . أذكر ذات مرة أنني ذهبت للدعوة في قرى من القرى في رواندا وشرحت لهن مبادئ الإسلام فأسلم

[٢٥] مجلة حياة العدد (٥٤) شوال ١٤٢٥هـ

مجموعة من الرجال والشباب ولم تسلم امرأة أو فتاة وسألتهن فقلت لي: إنهن يردن استشارة أزواجهن أو آبائهن فشجعتهن على ذلك حتى لا ندمر الأسرة عندهم.وبدأت أحدث المهتدين الجدد بصوت عالٍ عن أحكام الأسرة وحدثتهم عن الخمر أنه حرام فسألني أحدهم أنني لن أشرب الخمر اعتباراً من اليوم لأنني أصبحت مسلماً ولكن كلنا نحتاج في كل موسم لباقي أهالي القرية يساعدونه في الزراعة وحرث الأرض ومن عاداتنا أننا لا نعطيهم نقوداً لأننا أصلاً لا نملك ذلك بسبب فقرنا ولكنا نصنع لهم خمراً ونوزعه عليهم...

فقلت له إن ذلك حرام وذكرت عشرة مهن تتعلق بالخمر كلها حرام وفوجئت بصوت وجلبة من جانب النساء وبتحركهن وانضمامهن إلى المسلمين الذين كنت أحادثهم.. والحقيقة أنني خفت على نفسي في هذه الحركة الغريبة، ولكن واحدة من النساء خاطبتني أننا كنا ننوي سؤال أزواجنا عن إمكانية دخولنا الإسلام. أما الآن وبعد أن سمعنا عن موقف الإسلام العظيم والمتشدد من الخمر.. ونظراً لما كنا نعانيه من أزواجنا وآبائنا وحتى أولادنا من ضرب واعتداءات عندما يشربون الخمر ويسكرون قررنا أن لا ننتظر استشارة أهالينا، وأن نسلم الآن فهذا دين عظيم يجب أن لا نتأخر في قبوله، لأنه لا يأمر إلا بالخير ولا ينهى إلا عن المنكر

تذكرت حينذاك قول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخوفه من أن نولد في الإسلام ولا نعرف طعم الجاهلية وبذلك لا نعرف قدر وعظمة الإسلام[٢٦].

لقاء مجلة نون مع الداعية عبد الرحمن السميط ١٤٢٦

- كيف تنظرون إلى دور الإعلام الإسلامي في مؤازرة الدعوة؟

[٢٦] مجلة حياة العدد (٥٩) ربيع أول ١٤٢٦هـ

الإعلام الإسلامي مقصر، ولكن الدعاة كذلك مقصرون في الكتابة في الصحف أو التحدث في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وأتمنى أن يعطي الإعلام بصورة عامة هموم الدعوة ما يعطيه للرياضة والفن من اهتمام.

- هل جاءت مبادرتك متأخرة بعض الشيء؟

آن الأوان أن أتذكر الموت وداره، خاصة وأن العمر قد انقضى في الركض وراء الدنيا ولا بد لي من صحوة أعود بها إلى الله وأعبده حق العبادة من خلال الدعوة، لهذا قررت أن الوقت قد حان لأعمل لآخرتي، وأن أتفرغ للدعوة في إفريقيا وأن أعيش وسط قبيلة أصلها عربي مسلم فَقَدَت هويتها وضاع منها دينها وتحولت إلى الوثنية، أصلها من الحجاز هاجرت قبل ٨٠٠ سنة إلى جنوب شرق مدغشقر، ولم يبقَ لها من الإسلام إلا تحريم أكل لحم الخنزير وكراهية الكلب وكتابة كتابهم المقدس بالحروف العربية ولكن بلغتهم، لقد نسيهم الدعاة، فنسوا دينهم وعبدوا الأحجار والأشجار.

لقد قررت أن أعيش بينهم في منطقة نائية في مدغشقر ينعدم فيها كثير من الخدمات، لمساعدتهم على العودة إلى دينهم واستعادة هويتهم..

إن عددهم نصف مليون وهم بحاجة إلى جهود كبيرة وأموال كثيرة، خاصة وأن الكنيسة بدأت العمل بينهم منذ ١١٠ سنوات، وقد وضعنا خطة لنشر الإسلام بينهم لمدة ٢٥ سنة وأنا بصدد جميع مبلغ ٥٠ مليون ريال وقفاً على المسلمين الضائعين من أمثالهم. ومن ريع هذا المبلغ سوف ننفق على رواتب الدعاة والقوافل والدورات الدعوية وكفالة الطلبة في المدارس والجامعات والأيتام وحفر الآبار وتنمية المنطقة دعوياً وتعليمياً واقتصادياً وصحياً، ورغم علمي أن المبلغ المطلوب كبير لكن الله علمني أن أثق فيه وفي عونه.

وقد أسلم عشرات الألوف من أبناء هذه القبيلة، ومعدل تكلفة هداية الشخص الواحد للإسلام ٣١٢ ريالاً سعودياً، وقيمة السهم الواحد في هذا الوقف ٣١٢٥ ريالاً سعودياً، ونحن هنا بحاجة ماسة إلى كفالة المزيد من الدعاة حتى نسهم في هداية هذه القبيلة إلى الإسلام، وطبع وترجمة الكتيبات، وبناء دور الأيتام وحفر الآبار...إلخ.

- ما هي ثمرات هذه الدعوة؟

لقد أسلم في أثيوبيا وشمال كينيا خمسون ألفاً من قبيلة (البوران)

وأسلم ثلاثون ألفاً في شمال كينيا من قبائل (الغبرا) و(البرجي)

وأسلم مئات الألوف في رواندا ومثلهم في ملاوي

و ٨٠ ألفاً أسلموا في جنوب تشاد

وستون ألفاً في جنوب النيجر

وعشرات الألوف في جنوب السنغال وغينيا الغابية وبنين وسيراليون وغيرها... وهذا ما جعلني أشعر بعظم مسؤوليتي أمام الله، وأن الطريق طويل والعقبة كؤود والزاد قليل، فكيف ألقي عصا الترحال وهناك الملايين ممن يحتاجون للهداية وأنا بحاجة إليهم يوم القيامة ليشهدوا لي لعلي أدخل الجنة بدعاء واحد منهم؟

لو كانت القضية دنيوية لقلت نعم بملء فمي، فعندي عشرات الأمراض من جلطة بالقلب مرتين وجلطة بالمخ مع شلل قد زال والحمد لله، وارتفاع في ضغط الدم، ومرض السكري وجلطات في الساق، وتخشن في الركبة يمنعني من الصلاة دون كرسي وارتفاع في الكولسترول ونزيف في العين وغيرها كثير، ولكن مَنْ ينقذني من الحساب يوم يشكوني الناس في إفريقيا بأنني لم أسعَ إلى هدايتهم.

وهل أبقي مع أولادي ورسولنا – صلى الله عليه وسلم – يقول: (لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها) وأدعو الله أن يكون ذلك رجلاً من قبائل (الأنتيمور) التي أعمل وسطها حالياً، والتي أسلم فيها عشرات الألوف ينقذني من النار ويكون سبباً في دخولي الجنة.

– متى تلقي عصا الترحال؟

سألقي عصا الترحال يوم أن تضمن الجنة لي، وما دمت دون ذلك فلا مفر من العمل حتى يأتي اليقين فالحساب عسير.. كيف يراد لي أن أتقاعد وأرتاح والملايين بحاجة إلى مَنْ يهديهم؟ وكيف أرتاح بدنياً وكل أسبوع يدخل الإسلام العشرات من أبناء (الأنتيمور) من خلال برامجنا ونرى كل يوم أن أعداء الإسلام لا يدخرون جهداً ولا مالاً في سبيل إبعاد أبناء هذه القبيلة التي كانت عربية مسلمة عن الإسلام وينفقون كل سنة عشرات الملايين ولديهم عشرات من العاملين هنا؟

– ماذا عن الحادث الذي جرى لك بالعراق؟

الحادث الذي حدث لي بالعراق بعد سقوط النظام السابق لا يستحق الذكر، وكنت قد ذهبت للإغاثة وتعرضت لحادث سيارة وتراكمت المضاعفات والحمد لله رب العالمين.

الأمور في العراق قد اختاط فيها الحابل بالنابل، ولم يعد للإنسان المعتدل مجال للعمل أو المساعدة إلا بصعوبة بالغة.

- هل من أثر للتنصير في الخليج؟

التنصير في الخليج ما زال قاصراً والخطر الأكبر من تغيير القيم والغزو الفكري والعلمانية الملحدة والعولمة،وهذا تركته لأهل الخليج ليتعاملوا معه بالحكمة.

- ما أكثر المواقف تأثيراً على نفسك؟

المواقف أكثر من أحصيها وكثيرة جداً ولكن ما زلت أذكر قرية غرب السودان أثناء مجاعة ١٩٨٤م سألناهم: ماذا تطلبون؟ فقالوا: كل أطفالنا ماتوا من الجوع وبدأ الكبار يموتون بعد أن ماتت ماشيتهم وزروعهم؟ نناشدكم الله أن تحفروا لنا قبوراً لندفن موتانا، فنحن عاجزون عن حفرها بسبب الجوع، ونطلب منكم أكفاناً لموتانا.

في تلك الفترة رأيت قرى بكاملها في أثيوبيا مات سكانها وحيواناتهم وزروعهم، ولم أعثر على مسلم واحد يذكر الله، فكلهم إما في القبور أو ماتوا ولم يجدوا مَنْ يدفنهم فبقيت هياكلهم العظمية شاهداً على إهمالنا لهم.

- هل تواجهون خسائر مادية أو بشرية؟

هذا شيء طبيعي ومَنْ يُرِد الراحة الجسدية فليجلس عند زوجته ولا حاجة لله فيه، وطريق الدعوة محفوف بالمشكلات، وكل سنة نفقد حوالي ٨–١٠ من العاملين معنا في الحروب الأهلية التي لا ننسحب منها لأن الحاجة إلى عملنا تكثر، لقد أصبت مرتين بجلطة في القلب، وأصبت بأمراض كثيرة، ولكن هذا كله يهون إذا عظم الهدف الذي تسعى إليه.لقد كان المخترع المشهور توماس أديسون يعمل أحياناً ٣٦ ساعة متواصلة دون راحة في اختراعاته،وعمل كولونيل ساندرز سنتين متواصلتين يحاول تسويق دجاج كنتكي المقلي، وكان ينام في سيارته حتى نجح وأصبح للشركة الآن حوالي عشرة آلاف مطعم في العالم ومبيعاتها السنوية بآلاف الملايين،وهؤلاء يعملون للدنيا فأين مَنْ يعمل للآخرة من شبابنا ونسائنا؟ وفي تاريخنا قصص مشرفة عن علماء ساروا من أقصى المغرب إلى بغداد لتلقي العلم، وعلماء مثل ابن حنبل عمل حمالاً من بغداد إلى مكة حتى يأخذ حديثاً.

وهذا الإمام النووي لا يعرف له فراش ينام عليه، وكان إذا تعب يستند إلى عمود المسجد وينام ومات وعمره ٤٤ سنة، وترك لنا عشرات الكتب التي ندرسها، ولن ينجح مَنْ لا يدفع ثمن النجاح.

– ما أبرز الصعوبات التي واجهتكم في هذا المضمار؟

كانت وما زالت العقبات المالية، وتوفير الكوادر البشرية المؤهلة هي أكبر عقبة.. إن المال إذا وضع في يدٍ غير حكيمة أو بدون خبرة يتحول إلى نقمة على الدعوة.. وكل اللصوص الذين تزخر بهم إفريقيا أسهم في صنعهم كل مَنْ دفع لهم بحسن نية.ولكن المال إذا وضع في يد أمينة يديرها عقل حكيم، تتحول إلى بلسم يشفي جراح الأمة، لقد رأيت بعض العاملين في مؤسسات خيرية يوزعون النقود في الشوارع وأغلب المستفيدين يشترون بها السجائر والخمور، ورأيت بعيني أحدهم يوزع على بعض الطلبة المسلمين نقوداً خرجوا جميعاً يتمتعون بها مع نساء الشوارع..!بينما الكثير من مشاريعنا الدعوية متوقف، بسبب عدم توافر الدعم المادي لها، لهذا أشعر بضرورة عمل أوقاف ثابتة للدعوة الإسلامية ومشاريعها، وأن تُدار هذه الأوقاف باحتراف وبكفاءات عالية، ولنبدأ، وتأكدوا أن الله سيكون بعوننا.

– ماذا جنيت بعد ٢٦ سنة من العمل الدعوي؟

جنيت راحة البال وشعوري بأن حياتي التي قضيتها في مساعدة إخواني في أفريقيا كانت ذات معنى ولها هدف، قد لا أكون قد حققت كل ما أسعى إليه خاصة وأنني كلما وصلت إلى هدف بدأت أسعى إلى هدف أبعد.

– هل يرافقك أبناؤك في الدعوة إلى الله؟

عندما كان أبنائي صغاراً كانت مرافقتي لهم في عطلاتهم المدرسية هي فرصتي، لكي أتعرف عليهم ويتعرفوا عليَّ، لأن الصغار منهم لم يتذكروني إذا جئت إليهم من إفريقيا، أما الآن فقد كبروا وتخرجوا جميعاً، ما عدا واحد على وشك التخرج.

ابني الأصغر عبد الله سيتخرج –إن شاء الله– طبيباً بيطرياً بعد عام ونصف. وأود أن أكون له وقفاً من مالي الخاص –إن استطعت– ينفق من ريعه حتى يتفرغ للدعوة في إفريقيا بدلاً من مزاولة مهنته إذا يسر الله لي وله، وهو فيما أرى راغب جداً في العمل في ميدان الدعوة، وأرجو ألا يفهم من هذا أنني أدعو إلى التبرع لولدي.

– هل أنت داعية أم ماذا؟

أنا أبسط من أن أكون داعية فما زلت في بداية الدرب، والدعوة حقيقة أكبر مني، والسؤال من الأفضل أن يوجه للأبناء حتى يجيبوا عنه وأنا بعيد عنهم الآن في إفريقيا.

– تُرى ما الذي جعلك تترك مهنة الطب؟

العمل بالطب هو نوع من الدعوة ومن عمل الخير، وأنا شاكر جداً للروتين الحكومي الكويتي والبيروقراطية في مستشفياتنا، فلولا الله ثم هذه لما اتجهت نحو العمل الخيري في إفريقيا.

– هل اقتربت من تحقيق هدفك من الدعوة؟

أعيش من أجل إنقاذ إخواني في القارة السمراء، وأموت من أجل ذلك فما زال الهدف الأساس بعيداً جداً ولا وقت لدي الآن للتفكير في غير ذلك.

– الدعاة في الخليج هل أدوا دورهم كاملاً؟

لا أعتقد فيما عشته ورأيته ما يشجعني على قول إن الدعاة في الخليج أدوا دورهم في الدعوة في إفريقيا، نحن جميعاً مقصرون تجاه الله في إفريقيا.

– هل حدث أن تنصر أناس أسلموا على أيديكم؟

لا علم لي بذلك، ولكن لا يعني هذا أنني أنفيه، لقد رأيت مرتدين وحدثتهم ولكن لم أقابل مرتداً أسلم على يديّ حتى الآن.

– هل تذوقت طعم الفشل؟

لا نجاح أبداً بدون الفشل، النملة لا تستطيع تسلق الحائط بدون أن تسقط أكثر من مرة، والطريق إلى النجاح بمر دائماً بمحطات من الفشل، ولا خير فيمن يستسلم في المعركة الأولى.

– كيف تعاملت معك القبائل الإفريقية؟

بعض القبائل المسلمة في غرب إفريقيا فرحت بي كعربي مسلم يزورهم وأهدوني ثوباً ملكياً ونصبوني ملكاً عليهم وعندما عرضوا عليّ جارية لخدمتي رفضت

وأذكر في زيارة إلى قرية في سوازيلاند لحفر بئر هناك وجدنا المحكمة التقليدية منعقدة تحت شجرة، ولأننا لا نعرف العادات وقفنا احتراماً للمحكمة، ويبدو أن هذه جريمة في عرفهم فمروا في

طابور يبصقون علينا أو يقذفون حرابهم بين أرجلنا وقالوا إن المفروض أن يحاكموننا لإهانتنا عاداتهم، طبعاً لم نحفر البئر، ولم نرجع مرة أخرى لهذه القرية..

وقد عرض عليّ الزواج أكثر من مرة من بنات زعماء إلا أنني مشغول بما هو أهم، وهو الدعوة ومن تزوج بالدعوة لا وقت له للزواج من بنات الناس.

– في أي جانب تنحصر مهمتكم في إفريقيا؟

مهمتنا هي دعوة الإنسان الإفريقي وإعادة بنائه ثقافياً ودينياً واقتصادياً واجتماعياً وصحياً، وتنمية المجتمع المهمش في إفريقيا، ولا شيء كالعلم الصحيح والدعوة بالحكمة في تحصين الإنسان من الردة.

– تعرضت للموت كثيراً.. كيف كانت ردة فعلك ؟

الموت لا يأتي إلا في يوم مكتوب، ولن يموت الإنسان إلا بأجله، لقد سجنت مرتين مرة في بغداد عام ١٩٧٠م وكدت أعدم ومرة ١٩٩٠م عندما اعتقلتني المخابرات العراقية في الكويت، ولم أعرف مصيري، وعذبت في بغداد حتى انتزعوا اللحم من وجهي ويدي وقدمي، ولكنني كنت على يقين من أنني لن أموت إلا في اللحظة التي كتبها الله.

– في الختام مَنْ تتوقع أنه سيحمل مشعل العمل في ذات الدرب ؟

إن أرحام المسلمات لم تصب بالعقم لتنجب مَنْ هو خير من عبد الرحمن السميط، ولقد أنجبت أمهاتنا صحابة رسول الله والتابعين والعلماء الأفذاذ والمجاهدين والمجددين وغيرهم، وكلهم خير ديناً ودنيا من عبد الرحمن السميط.

حوار مجلة البيان مع د/ عبدالرحمن السميط
حول العمل الإسلامي في إفريقيا

– العمل الإسلامي الخيري بأنواعه المختلفة (الإغاثي التعليمي الدعوي... ونحوها) عمل جديد نسبياً ، ولكنه خطى خطوات متسارعة في السنوات الأخيرة.. فكيف تقومونه ، مع إيجابيات العمل وسلبياته؟

– خلال الخمس عشرة سنة الماضية شهدت الساحة الإسلامية نمواً كبيراً جداً للعمل الخيري ورغم التوفيق الذي حالف الغالبية العظمى من هذه المنظمات بفضل من الله سبحانه وتعالى ، وذلك من خلال ما حققته من نجاح طيب في كثير من الميادين ، إلا أنني أود أن أركز هنا على

نماذج من السلبيات التي حدثت والتي أتمنى أن نقوم نحن العاملين في المؤسسات الخيرية بمراجعة أنفسنا وتصحيح هذه الأوضاع الخاطئة

ومنها على سبيل المثال:

أولا: بدأت تبرز عند البعض روح الانتماء للمنظمة التي يتبعها حتى طغت على روح الانتماء للإسلام ، مما أثر على العمل الإسلامي في المناطق التي يعملون بها ، وأحياناً يحدث هذا بحسن نية ونادراً ما يحدث بصورة أخرى. ودعني أضرب لك مثالاً:

قمت بزيارة لمنطقة نائية في شمال كينيا ، واكتشفت وجود قبائل أصلها إسلامي ، ولكن لا يوجد بينهم دعوة إسلامية منظمة ، وكان يوجد شخص من المدرسين الحكوميين يقوم بتدريس مادة الدين الإسلامي في بعض المدارس الثانوية ، و كان لديه استعداد طيب ، وبدأ فعلاً في الدعوة في وسط هذه القبائل ، وكنا بحاجة له للتفرغ للدعوة الإسلامية ، ولكن ظننا أننا لو سحبناه من المدارس ستصبح بدون مدرسين مؤهلين ، وبخاصة وأن التعيينات الآن في تلك المدارس صعبة جداً ، مما يعني بقاء الطلبة في المرحلة الثانوية بدون توجيه إسلامي ، فتركناه على وظيفته على أن يعمل في أيام العطل معنا في الدعوة ، وفوجئنا بإحدى المنظمات تعرض عليه راتباً خيالياً وتنقله إلى مكان آخر ، بينما كان بالإمكان تعيين أي شخص بديل له في ذلك المكان ، ومن السهل وجود أشخاص بديلين عنه هناك ، ونجم عن ذلك أن أصبحت المدارس بدون دعوة ، وكذلك القرى التي كان يزورها ويدعو الناس فيها فقدته أيضاً ، وأعتقد أن هذا التصرف ناتج من أن الأخوة لم يروا إلا من زاوية ضيقة (من وجهة نظر مصلحة المؤسسة التي يعملون بها فقط) ، ولهذا نجد تنقلات كثيرة بين المؤسسات الإسلامية أعتقد أن أشد المنظمات ضرراً على العمل الإسلامي هم أولئك الهواة الذين يأتون وفي جيوبهم كثير من المال ، ويعرضون الرواتب الخيالية في الأزمات ، ثم ينسحبون بمجرد أن تنتهي الأزمة ، ويبقى هؤلاء الموظفون مشردين بدون وظيفة ، وقد حصل هذا في المجاعة التي أصابت الصومال وشمال كينيا ، حيث يوجد عدد غير قليل ممن كانوا موظفين في الحكومة وفي غيرها ، وتم إغراؤهم برواتب خيالية فاستقالوا من وظائفهم للعمل في بعض المؤسسات ، واستغنت عنهم تلك المؤسسات بعد انتهاء المجاعة ، فأصبحوا يمدون أيديهم إلى الناس طلباً للإحسان بعد أن كانت لديهم وظيفة يستطيعون أن يخدموا الإسلام من خلالها.

ثانياً: ومن السلبيات تدافع المنظمات للعمل في نفس المكان ، وكم كنت أتمنى لو قمنا بالابتعاد عن أي مكان توجد فيه إحدى المنظمات الإسلامية والانتقال إلى أماكن أخرى ، فالساحة تستوعب الجميع ، وما حدث في مجاعة الصومال مثال على ذلك حيث تركز عمل أغلب

المنظمات الإسلامية في منطقة مقديشو وما حولها ، وها نحن نرى تدافعاً للمنظمات الإسلامية في بعض المناطق مع إهمال كامل لمناطق أخرى ، فموزمبيق مثلاً يوجد بها ست منظمات رغم محدودية العمل ورغم أن أغلب المنظمات لم تقدم شيئاً ملموساً حتى الآن لإخوانهم المسلمين ، ورغم المشاكل الإدارية التي تكتنف عمل بعض المؤسسات الإسلامية ، بينما دولة مثل غينيا الاستوائية التي فيها أعداد كبيرة من المسلمين ، ومثل نيجيريا والكميرون والكنغو لا يوجد فيها حضور حقيقي لمنظمات ميدانية تقدم عملاً خيرياً في هذه المناطق إلا ما ندر.

ثالثاً: إصرار بعض المنظمات رغم العجز الإداري الموجود لديها على التوسع بدون حدود ، مما أوجد خلخلة في أعمالهم ، فنجد بعض العاملين يبقون أشهراً طويلة بدون رواتب وبدون تعليمات ، دعك من الزيارات الميدانية التي يفترض أن يقوم بها العاملون في المكاتب الرئيسة للاطلاع على مشاكل مكاتبهم في مختلف المناطق ، وهذا أوجد إحباطاً في نفوس إخواننا من الدعاة في هذه المناطق مما عاد بسلبيات كثيرة على العمل الخيري.

رابعاً: عدم قيام بعض المنظمات الإسلامية بتدقيق المحاسبة بشكل يضمن وصول المساعدة إلى المحتاج فعلاً ، كما قرر المتبرع ، مما أوجد فئة من الناس ممن قلت تقواهم فأصبحوا يجتهدون في هذه الأموال ، وأصبحت الحدود غير واضحة في أعينهم بين المصالح الشخصية ومصالح الإسلام وهناك سلبيات كثيرة تحتاج إلى وقت أطول ومجال أرحب.

-العمل الخيري من الأعمال الشاقة المجهدة.. فما هي الصعوبات الرئيسة التي ترون أنها تواجه العمل الخيري ، وكيف يمكن تجاوزها أو التقليل من آثارها؟

كثير من العاملين في العمل الخيري يدّعون أن المشكلة الرئيسة هي المال وأنا أعتقد أن غالبية المؤسسات الإسلامية لديها مشكلة مالية ، ولكن المشكلة ليست في قلة الأموال ولكن في تخمة الأموال التي لا تستطيع أن تضعها في موضعها الصحيح ، والمشكلة الرئيسة في نظري هي إدارة العمل الخيري حيث لا يوجد أشخاص مؤهلين للعمل في المؤسسات الخيرية الإسلامية نتيجة حداثة عهدها ، وهناك أيضاً انعدام الرقابة الميدانية عند بعض المؤسسات التي مدت جذورها بشكل كبير في وسط المتبرعين ونست الزيارات الميدانية وأهميتها في الرقابة الإدارية والمالية ، كما أن هناك صعوبة يجب أن لا نغفلها ، وهي عدم وجود الغطاء السياسي للعمل الخيري الإسلامي ، فالدول الإسلامية بصورة عامة دول ضعيفة أو دول لا تود الدخول في إشكالات سياسية لحماية العمل الخيري الذي ينبع من دولها ، بينما نجد أنه ما أن تمس مؤسسة أمريكية أو ألمانية أو إنجليزية إلا وتقوم قيامة حكومات تلك الدول وتتدخل لدى أعلى المؤسسات

الحكومية في إفريقيا وجنوب شرق آسيا ، لصالح العمل الخيري الذي تقوم به المؤسسات الغربية ، بينما نحن المسلمين كالأيتام على موائد اللئام وأضرب لك مثالاً بلجنة مسلمي إفريقيا ، وهي ليست فريدة في ذلك حيث قتل العديد من دعاتنا في عدد من الدول مثل الصومال وليبيريا وسيراليون وموزمبيق وغيرها ، وإطلاق النار على مؤسساتنا شيء لم يعد يثيرنا بسبب كثرة ما يحدث ولا نستطيع أن نلجأ إلى أي جهة لتقوم بحمايتنا ، بل إنه حتى في الصومال برزت النعرات الوطنية والإقليمية بشكل مزعج ، فأنت عندما تطلب قوات لحماية الإغاثة التي تنقلها من مكان إلى آخر ، يقول لك المسؤول هناك: أنك لست تابعاً لبلدي ولا أستطيع أن أحميك ، بينما هو يقوم بحماية الإغاثة التابعة لمؤسسات نصرانية باسم الأمم المتحدة ، وكنت أتمنى أن نحس بالوحدة الإسلامية أولاً ، وبالوحدة الخليجية ثانيا في حماية المؤسسات الخيرية الخليجية بصورة خاصة ، والمؤسسات الإسلامية الأخرى بصورة عامة ، بغض النظر عن هذه الحدود المصطنعة التي وجدت بين دولنا.

– التخطيط والتدريب والمتابعة.. من الدعامات الرئيسة لنجاح العمل الخيري ، فما هي مرئياتكم حيال هذا الموضوع؟

أعتقد أن العمل الإسلامي الخيري إذا أريد له النجاح فلابد له من وضع خطة مستقبلية مع تقييم لما نفذ من هذه الخطة على مراحل ، ويكون هذا التقييم بإجراء محاسبة إدارية ومالية دقيقة في المكاتب الرئيسة ، بالإضافة إلى زيارات ميدانية دورية لأمكنة العمل ، حيث لاحظنا أن بعض المؤسسات الخيرية تعتمد على الإدارة من بعيد دون أن تعلم ماذا يحدث في الميدان حقيقة ، بل إنها تعتمد اعتماداً كلياً في اتخاذ بعض القرارات المهمة على التقارير التي تصلها. أما مشكلة التدريب ، فمع الأسف الشديد قليل من المؤسسات التي تقوم بدورات تدريبية ولكنها لا تكون على المستوى المطلوب ، وينعكس ذلك على مستوي العمل مما يجعل بعض العاملين يتحدثون عن أمور يجهلونها.

– للمنظمات التنصيرية خبرات طويلة وإمكانات هائلة وجهود جبارة في العالم الإسلامي.. فمن خلال خبرتكم في إفريقيا هل لكم أن تذكروا لنا بعض الإحصائيات لحجم هذه الأنشطة ، وما هو دور المؤسسات الإسلامية في مواجهة المد التنصيري؟

الإحصائيات موجودة في المراجع الأجنبية وبخاصة المراجع التنصيرية وأضرب مثالاً بكنيسة »المرمون« التي زاد عدد أتباعها أكثر من ١٦ % خلال السنوات الأربع الماضية في إفريقيا ،

كما أن الكنيسة الكاثوليكية تبذل عشرات الملايين من الدولارات على العمل التنصيري في إفريقيا ، حيث ازداد عدد الكاثوليك وهم فئة من فئات النصارى ما بين عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٩٤ م من ٥٢ مليون إلى ٩٢ مليون ، والمعروف أن البابا الحالي زار إفريقيا لأول مرة في عام ١٩٨٠ م ثم زارها بعد ذلك عشر زيارات ويوجد حالياً ٥٥ ألف طالب يدرسون الرهبنة الكاثوليكية في إفريقيا ويوجد حالياً ٢٠٧٠٠ قسيس و ٤٢ ألف راهبة ، يساعدهم ٢٦٤ ألف مساعد ديني متفرغ للقسس في أعمالهم الدينية اليومية ، فإذا كان هذا في إفريقيا وحدها ، فما بالك في المناطق الأخرى ، ولوحظ كذلك أن رجال الكنيسة بدأوا الدخول في السياسة بدعم من الفاتيكان ، رغم أن الفاتيكان ينفي ذلك تماماً ، ولكن من الواضح جداً أنه لا يمكن أن يقوموا بما قاموا به من تدخل سياسي بدون هذا الدعم الخفي من الفاتيكان ، وكمثال على ذلك ، هناك خمس دول يرأس المجالس الوطنية أو البرلمانات بها قسس كاثوليك برتبة أسقف في غرب إفريقيا ، وقد كانت البداية في »بنين« حينما أصبح الأسقف »إيسادور ديسوزا« رئيساً للبرلمان في عام ١٩٩٠ م ، ثم حدث نفس الشيء في الكنغو والغابون والتوغو وزائير ، ويرأس الحركة الانفصالية في جنوب السنغال قسيس كاثوليكي ، كما أن الكنيسة الكاثوليكية متورطة حتى آذانها في الحركة الانفصالية في جنوب السودان ويقيم »جون قرنق« أثناء زيارته إلى نيروبي نصف المدة في كنيسة كاثوليكية في ضواحي نيروبي ، والنصف الثاني في كنيسة بروتستنتية ، وبكل وضوح يقوم بهذا العمل بينما تدخلت الدول الغربية لتحريم إقامة أي حزب على أساس ديني في خمس دول ذات أغلبية إسلامية ، وهي موريتانيا ، والنيجر ، وتشاد ، والسنغال ، وغينيا كوناكري ، حتى لا يكون للإسلام صوت في السياسة ، وحسب إحصائيات المجلة الدولية لأبحاث التبشير وهي مجلة علمية أمريكية فإن ما تم جمعه خلال عام واحد لصالح الكنيسة في شمال أمريكا وغرب أوروبا بلغ ١٨١ مليار دولار ، ويوجد لديهم ٢٠٥٠ محطة إذاعة وتلفزيون ، ويملكون في دولة مثل أندونيسيا ٦٤ مطار ، ويمكن من هذا أن نقدر عدد الطائرات التي يملكونها.

– صلة القارة الإفريقية بالإسلام صلة قديمة جداً ، وقد كان للغة العربية حضور مبكر في القارة ، ولكن استطاع الاستعمار استبدال اللغة العربية وحروفها باللغات الغربية والأحرف اللاتينية.. فهل لكم أن تذكروا لنا بعض تلك الجهود في ذلك؟

الإسلام لم ينزل على إفريقيا (ببراشوت: مظلة) وإنما له جذور عميقة ، فمنذ هجرة الحبشة الأولى االتي دخل بها الإسلام إلى إفريقيا قبل أن يدخل إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وقد اكتشف قبل مدة مسجد في جزيرة »باتي« في شرق كينيا عمره ١٣٥٠ سنة ، واكتشف مسجد له نفس العمر في شمال زنجبار وفي جزيرة »بمبا«. وفي زيارتي الأخيرة إلى

»مدغشقر« وجدت كثيراً من الآثار الإسلامية التي يعود تاريخها لأكثر من ألف سنة ، ويذكر أحد الباحثين الغربيين أنه وجد قبراً في زيمبابوي كتب عليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر سلام صالح الذي انتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية عام ٩٥ من هجرة النبي العربي)

وهناك قرائن تثبت أن العرب كانوا قد سكنوا جنوب إفريقيا قبل الرجل الأبيض ، بل قبل الرجل الأسود ، وأقصد جمهورية جنوب إ فريقيا التي كانت عنصرية ، وإلى عهد قريب جداً كان الحرف العربي هو الحرف الذي كان يستخدم في الكتابة في إفريقيا بدون منافس ، حتى جاء الاستعمار والتنصير الغربي في منتصف القرن الماضي ، وأخذ يحارب الحرف العربي لأنه ينتمي إلى لغة القرآن ، واستطاع أن يغير كثيراً من اللغات ، من أواخر اللغات التي غيرت من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني لغة »الهاوسا« في شمال نيجيريا ، واللغة الصومالية وغيرها ، وكانت اللغة العربية لغة رسمية في كينيا إلى عام ١٩٦٤ م ثم ألغيت ، ومع الأسف الشديد فإن العرب لا يقدمون شيئاً للدفاع عن لغتهم ، حينما قام أحد الوزراء ذوي التوجه الإسلامي في السنغال بإلغاء اللغة الألمانية في بعض المعاهد نظراً لعدم الحاجة لها ، تدخلت ألمانيا وقطعت جميع المساعدات حتى اضطر أصحاب القرار هناك لإقالة هذا الوزير ، وفي »تشاد« تم إقرار اللغة العربية لغة رسمية ، ولكن رغم هذا لم تتقدم أي دولة عربية بإرسال مدرس واحد للغة العربية في المدارس التشادية ، ولذلك بقيت اللغة العربية لغة رسمية حبراً على ورق ، وحتى الإذاعة العربية فكانت إلى عهد قريب تبث لمدة ربع ساعة فقط ، بينما الإذاعة باللغة الفرنسية تبث لعدة ساعات نظراً لعجز الإذاعة العربية عن توفير برامج ومعدات تحتاج إليها ، وقد صدر منذ شهر قرار من تشاد بأن تكون جميع اللافتات في الدوائر الرسمية باللغة الفرنسية واللغة العربية ، ورغم هذا لم تجد أي تشجيع من الدول العربية لذلك.

– كيف بدأت صلتكم الشخصية بإفريقيا ، وما هي العقبات الأولى التي واجهتكم في العمل ، وما أبرز نشاطات لجنة مسلمي إفريقيا؟

أذكر منذ كنت أعمل في كندا في السبعينات أنني ألقيت محاضرة على مجموعة من الطلبة المسلمين في أمريكا عن جهود التنصير، وتحمس الأخوة وطلبوا مني أن نفعل شيئاً، فاقترحت في محاضرة أخرى أن يدفع كل طالب مبلغاً يتراوح ما بين نصف دولار إلى دولار شهرياً وبصورة مستمرة ، ثم يجمع ذلك المال ونطبع به كتباً ونوزعها في الدول المحتاجة وبخاصة في إفريقيا ، وعندما عدت إلى الكويت بعد انتهاء دراستي وتدريبي شعرت بأن العمل الطبي لا يستوعب طاقاتي ، وحصلت على بعض التشجيع من بعض المسؤولين ، ونحمد الله سبحانه وتعالى أن

تبرعت لنا إحدى المحسنات لبناء مسجد ، فذهبنا إلى »ملاوي« لبناء المسجد ، وما وجدناه هناك كان يدمي القلب ، وعلى إثرها كنت أحد المؤسسين للجنة مسلمي إفريقيا ، وقررنا منذ البداية أن نعمل بشكل علمي بحت ، وأن لا ننظر في الحالات الفردية ، وأن ننظر إلى المجتمع الإسلامي ككل ونحاول أن ننميه ، فنحن لا نساعد شخصاً بذاته لأنه محتاج للمال أو لغيره ، ولكن نحاول أن نبني المؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية والإغاثية لهذه المجتمعات ، وأذكر أنه في أول ثلاثة اجتماعات كنا بأمس الحاجة إلى ٥٠٠ دولار ولم نستطع أن نجمعها ، ولكن بعد ذلك نحمد الله سبحانه وتعالى على أننا قد تجاوزنا الامتحان في هذا الجانب في الأيام الأولى من بداية عملنا حتى أصبحت الأن لجنة مسلمي إفريقيا أكبر منظمة عالمية متخصصة في العمل الإسلامي في إفريقيا حيث يغطي عملها أربعين دولة في إفريقيا ولها مكاتب متعددة هناك ولدينا ٣٢٨٨ داعية متفرغاً وهو عدد يفوق ما لدى جميع الدول العربية المشتركة ، ولدينا أكثر من نصف مليون طالب يدرسون في ٨٤٠ مدرسة تديرها لجنة مسلمي افريقيا عبر مكاتبها الميدانية ، وحفرنا ٧٦٠ بئراً ، ولدينا أكثر من ٢٠٠ طالب يدرسون الدراسات العليا وبخاصة في مجال الطب والهندسة والعلوم في عدة جامعات في الدول العربية والأجنبية ، كما قمنا بترجمة وطباعة وتوزيع أكثر من ٥,٦ مليون كتيب إسلامي بـ ١٨ لغة وبالطبع لدينا إذاعة للقرآن الكريم وهي الإذاعة الإسلامية الوحيدة التي تمتلكها منظمة إسلامية ، وتغطي ١٦ دولة إفريقية في غرب إفريقيا ومقرها »سيراليون« وتبث بعشر لغات ، وقد أسلمت عدة قرى ومناطق بسبب سماعها للإسلام حيث لم تكن قد وصلتها الدعوة الإسلامية من قبل ، ومع الأسف الشديد فإن هذه الإذاعة تعاني من مشاكل مالية بعد أن استمرت عشر سنوات في البث بدون انقطاع.

خطاب شكر من د. السميط إلى العلمانيين

منذ مدة وأنا أتردد في كتابة رسالة شكر لكل العلمانيين والليبراليين ممن جعلوا دأبهم الهجوم على الإسلام ومحاولة طعن العمل الخيري على مدى سنوات طويلة، وأخيرا شعرت بأنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

لقد دبج هؤلاء عشرات المقالات التي تهدف إلى قتل العمل الخيري وإغلاق مؤسسات الخير في الكويت.

وبعد كل مرة ينشر هؤلاء مقالاً من هذا النوع، كان الشعب الطيب يرد بطريقته الخاصة...!!!؛ إذ نلاحظ زيادة في التبرعات ردًا على هذه المقالات... وكان أهل الكويت يصوتون برفض ما كتبه هذا أو ذاك..

قبل أيام كتب أحدهم مقالاً في إحدى الصحف اليومية يطفح بالكراهية وينم عن الحقد، وجاءني العشرات يحملون شيكات التبرع أو رزم التبرعات.... والكثير منهم يبدي استياءه مما كتب...
وقبل سنوات كتب أحدهم مقالاً فاض بالاتهامات الباطلة الموجهة للقائمين على العمل الخيري، ولا حظت زيادة في عدد المتبرعين، ولكن الذي أثار انتباهي إحدى الأخوات الكريمات التي كان واضحا من ملابسها أنها غير متدينة، بل لم تكن تعرف الفرق بين الزكاة والصدقة، سلمتني عشرين ألف دينار كويتي...!!، وذكرت أنها استاءت من مقال هذا العلماني.. وهو ما دعاها الى التقدم بهذا التبرع، وبعد مدة رأيتها محجبة ملتزمة...
ولا زلت أتذكر أن أحدهم كتب مقالا طويلاً يتهمني فيه بأنني من تجار الدين... فزارتني إحدى الأخوات الفضليات تكاد تنفجر من الغضب على ما نشر وتتبرع بمبلغ يزيد عن ٧٠ ألف دينار كويتي!!، وتذكر أنني حر في التصرف فيه وهي تقدم تبرعها كل سنة منذ ذلك الوقت حتى الآن.....
وقبل مدة ظهرت في برنامج تلفازي حواري... فاتصل أحدهم يهاجمني بطريقة غير مؤدبة بل ويتهمني بالكذب...!!، واتصل بي أحد الإخوة المحسنين يعلن التزامه بالتبرع بألف دولار أمريكي يوميا..!!!، ولازال محافظا على ذلك الالتزام منذ سنوات.....القصص كثيرة والحوادث عديدة، وما كنا نستطيع أن نحقق ما حققناه من نجاح وانتشار لولا فضل الله علينا بجهد الكتاب العلمانيين والليبراليين في نشر مقالاتهم التي أثارت سخط الشارع الكويتي وجعلته يزداد إقبالاً علينا..!!
شكراً أيها الكُتاب على ما تنشرونه من كراهية وحقد أسود، وكنت أود أن أرسل إليكم هدية جزاءا على ما فعلتموه مما كنا نعجز عن تحقيقه مهما فعلنا إعلاميا. فشكرا لكل مواطن ومواطنة أبى إلا أن يرد عليهم بزيادة تبرعاته ودعمنا لنسير من نجاح إلى نجاح...

تعب فيه لذة !

عندما بدأنا العمل في إفريقيا قبل حوالي ربع قرن، لم نكن نتوقع إننا سنواجه كل هذه الصعاب الكثيرة، لكن إرادة الله تعالى جعلت فيها لذة كلما تذكرنا الأجر العظيم الذي يدخره لنا المولى عزوجل لم أكن أتوقع أن أسافر مع مجموعة من الأبقار على متن شاحنة تجاوز عمرها ثلاثين سنة في رحلة دامت عشرة أيام عبر طريق ترابي .. لكنني كنت "مسروراً" بألسنة رفيقات السفر اللواتي كن يلحسن رأسي من حين لآخر، كلما تراكم فوقه شيء من الغبار المتطاير من تحت عجلات الشاحنة " المريحة" ذلك أن البقر يحب في العادة إن يلحس الغبار الغني بالأملاح
لقد كوفئت مرة على فعل الخير بتحقيق أجرى معي في احد مركز الشرطة منعت خلاله من الجلوس لعدة ساعات، لأن الضابط المحقق كان كاثوليكيا متعصباً.

والحقيقة إنني لا أريد الخوض في تفاصيل المتاعب الجمة التي كنا نجابهها في المستنقعات، والنوم في الأكواخ المفروشة بروث البهائم والسير على الأرجل مسافات طويلة حتى تتورم الأقدام، من دون طعام أو شراب وسط الأهوال والمخاطر.. فكم من مرة تعرضنا فيها لإطلاق نار عشوائية لا سيما في المناطق التي تعيش حروبا أهلية. ولو كانت الشاحنات تتكلم لشهدت الشاحنات التي تبرعت بها إحدى الجهات لمكتبنا في موزنبيق على العبث الذي لقيته على أيدي المتمردين خلال سبعة عشر عاما من خدمتها، فقد تم حرقها مرتين بصورة كاملة، وفي كل مرة كنا نعيد إصلاحها من جديد، ولازالت في الخدمة! أو الشاحنة التي كانت محمله بالاسمنت لبناء احد المشاريع فأحرقها العتاة الضالون من المتمردين ونجا باعجوبه كل من سائقها وداعيتنا ليواصلا سيراهما بسلام إلى المدينه بعد اجتياز مسافة ثمانين كيلومتر سيرا على الإقدام، ولم احزن على الاسمنت أو الجوازات والوثائق الضائعة، ولكنني حزنت على كيس من السكر كان أملنا أن نقدمه في مشروع إفطار الصائم لبعض الأهالي الذين لم يذوقوا طعم السكر منذ ثماني سنوات!

لا أريد الحديث كذلك عن العشرات من دعاتنا الذين وهبوا أرواحهم في سبيل الدعوة الإسلامية في كل من جنوب السودان وليبيريا وسيراليون وموزمبيق والصومال وغيرها، ومضوا شهداء في درب خدمة إخوانهم ويسعدني جداً إن اقتفي أثرهم.
فلست نادما على المضي قدما في هذا الطريق ! لأنني اخترته بقناعه تامة ورضا بقضاء رب العالمين ولكنني أشفق على أخواني الذين اختاروا زينة الحياة الدنيا التي صرفت أبصارهم عن اللذة الحقيقة التي تحف بها المشاق و المكاره

عندما زرتك يا دكتور

فهد بن عبد العزيز السنيدي
سعادة الدكتور العزيز / عبد الرحمن السميط سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فاسمح لي أن أسرد على كريم علمك جزءً من فصول الجمال والإبداع ومشهداً من مشاهد الحب والوفاء التي أنت فيها المعدّ والمقدم والمنتج والمخرج وذلك فضل الله عليك .. إنها قصة زيارتنا لكم في مدغشقر لتصوير برنامج (القارة المنسية) فبعد عزم فريق العمل السفر إلى القارة كانت المخذلات كثيرة بينما المحفزات واحدة .. المخذلات أكثر من أذكرها حتى لايتشبث بها قارئ فأكون السبب في ثني عزمه عن المسير .. أما المحفزات فهي أن الدكتور / عبد الرحمن السميط

الذي هو في سن آبائنا ترك حياة الراحة والدعة وأقام في بيت متواضع في قرية مناكارا بجوار قبائل (الأنتيمور) وقطع على نفسه العهد أن يمضي بقية عمره في الدعوة إلى الله هناك .. ألا يكفي هذا أن يحفزنا ؟ ألا يكون هذا درساً من دروس احتقار النفس أمام أمثال الدكتور حفظه الله ؟ بلى والله ،فلقد عزمنا على السفر لتحقيق أمور عديدة سائلين الله تعالى التوفيق والإخلاص.

حطت بنا ركاب السفر في العاصمة (أنتنانا ديقو) ليقول لنا الأخوة هناك : إن خط سيركم سيكون عبر طريق وعر تقطعونه في أكثر من ثلاث عشرة ساعة ، أو عبر طائرة صغيرة لا تقلع إلا أحياناً وبعدد لا يتجاوز العشرة أشخاص وهي أشبه بالباص (المكسر) .. وهنا سألنا الإخوة : كيف يتنقل الدكتور ؟ فقالوا : الدكتور كثيرا ما يتنقل براً ، وقد سافر بالقطار في أكثر من أربعين ساعة بفتات الخبز ! فقلنا لأنفسنا هذا الاختبار الأول رسبنا فيه جزما حيث طلبنا السفر بالطائرة ؟! وعندما وصلنا إلى

(مناكارا) استقبلنا الدكتور / عبد الرحمن بوجه مشرق ونفس راضية تحمل بين جنباتها همّاً عظيماً هو هذا الدين .. ليقول لنا : متى تريدون أن نبدأ العمل ونزور القبائل لتروا بأنفسكم أن الإسلام كان هنا ولكنه اندرس ؟ لقد تعلمت في أول ساعة معكم يا دكتور أن العمل المتواصل والبذل الدائم هو طريق النجاح .. إن الأمثلة المحفوظة والأشعار المنثورة ليست في قاموسي بشيء لأنها كانت مادة جافة أرددها دائماً عن العزم والعمل والجهد والمثابرة .. لكنها أفلست مني أو أنا أفلست منها عند أول درس عملي من الدكتور ؟

أعلم يا دكتور إني سأوقف قلمي قليلاً لأن الخطوط الحمراء التي لن ترض بخروجها .. والأعمال الكثيرة التي لا تقبل أن يعلم بها أحد لن أبوح بها .. ولكني كتبتها بقلم الذاكرة وحبر الزمن في مجلدات الوفاء .. إن لم استطع قولها للناس تحقيقاً للأمر النبوي الكريم بذم المديح وحفظ حق الإخوان في عمل السر فإني سأقولها لهم بدموع تنهمر بعد عودتي .. وعبارات أتنهد بها عندما يسألني أحد عن هذه الجهود ؟!!

ماذا عساني أن أكتب لكم عن رحلة استمرت قرابة الشهر في إفريقيا لتصوير البرنامج كان نصيب الأسد فيها للأسد السميط .. لقد تعلمنا منك أن الحياة شباب وإن كنت كبير السن .. وهذه الحياة واحة فريدة في صحراء العمر .. ولست أعني الشباب الغض الناعم ، الذي ترق عنده الحياة ، فتسحره بالنظرات المغرية . وتجمع له لذائذ الدنيا ، في لحظة مسكرة ، أو شبهة عارضة ، الشباب الذي يعيش للهوى وأحلام اليقظة ، فيبدأ تاريخ حياته بالحاء فلا يلبث أن ينتهي بالباء . ديدن حياته يقوم على هذين الحرفين في غير مكانها الصحيح، بالطبع لست أعني هذا الشباب ، وإنما أعني شبابك يا دكتور مع بياض شعرك وصعوبة حركتك .. وتثاقل أقدامك إنه الشباب الحي العامل ، الذي وضع له غاية في العيش أبعد من مجرد العيش . فهو في جهاد مع وقته ونفسه والهوى والشيطان.

وإذا كانت النفوس كباراً *** تعبت في مرادها الأجسام

تعلمت يا دكتور أن المال الصالح في يد العبد الصالح سلاح مضاء وعدة عتيدة وقوة مكينة لا يمكن معها التقاعس أو الكسل .. فهمت منك أن الأثرياء في الأمة كثيرون ولكن النافع منهم قليل .. أولئك الذين ضعف عندهم الخلق والدين ، استخفوا بقواعد الإيمان ومبادئ الإسلام ، يأكلون كما تأكل الأنعام دون أن يؤدوا واجباً لدينهم أو مجتمعهم .. بل إنهم أصبحوا حرباً على أمتهم .. يسخرون أموالهم في العفن والفن والفجور... يؤصلون للرذيلة .. ويقيمون لها المؤسسات والأندية .. لا يتوانى الواحد منهم أن يقدم المال لكسر فضيلة .. أو قتل خلق فاضل .. بينما يستثقل أحدهم أن يبذل لعمل الخير .. (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) لا يليق بالرجل القادر ، أن يرضى لنفسه ، أن يكون حملاً على كاهل المجتمع ، ثقيلاً مرذولاً ، وأن يقعد فارغاً من غير شغل ، أو أن يشتغل بما لا يعنيه ، إن هذا لمن سفه الرأي ، وسذاجة العقل، والجهل بآداب الإسلام.

تعلمت يا دكتور :أن يكون هم الدعوة إلى الله شغلي الشاغل حتى في اللقمة التي آكلها .. أتذكر تلك الزيارات التي نقطع فيها الساعات بين طرق وعرة وغابات مظلمة مخيفة وأنهار موحشة في قوارب صغيرة ومستنقعات منتنة .. فإذا وصلنا إلى القرية واجتمع أهلها قال لهم الدكتور : ربي الله الواحد الأحد الذي خلقني ورزقني وهو الذي يميتني ويحييني .. كلمات يسيرة يدخل بها أعداد منهم إلى الإسلام ..! أتذكر تلك الملابس التي تحملها معك . لماذا يا دكتور ؟ إنها هدية لملوك القرى تأليفاً لقلوبهم إلى الإسلام ! لماذا هذه الحلوى ؟ لأطفال القرى من أجل إدخال السرور على نفوسهم.

ماذا عساي أن أقول ؟ وبأي درس يمكن أن أتحدث ؟ هل يمكن أن أسطر رحلة تعلمت فيها رغم قصر مدتها بقدر ما تعلمته من سني عمري الماضية ؟ لقد نسيت معاناة السفر ومشقة الحياة وشظف العيش قهراً لنفسي لأني أرى شيخاً كبيراً مصاباً بالسكر وبه آلام في قدمه وظهره .. يكسر كل حدود الترف والتأفف أمام ميدان الدعوة إلى الله ! ألا يستحي الشباب مثلي وهم هناك من أن يتذمروا لعدم وجود الماء الصالح للشرب والاستحمام ؟ أو عدم الحصول على المناديل المعطرة ؟ أو النوم أحياناً دون عشاء ؟ إيه أيتها النفس .. كم أنت مترفة .. ومنعمة .. وبعيدة عن ميدان العمل الحقيقي..

لقد تعلمت من لسع البعوض في تلك القرى دروساً في الصبر .. وتعلمت من شح الماء دروساً في اليقين و تعلمت من انقطاع الكهرباء أياماً دروساً في الطمأنينة..

يا دكتور لقد منحتني شهادة عليا في هذه الرحلة لم تستطع جامعات الدنيا أن تمنحني إياها .. لقد حصلت على الدكتوراه في احتقار النفس أمام العظماء .. وتجاوزت الماجستير في العمل الحقيقي الذي كنا نعتقد أنفسنا من رواده وبكالوريوس بامتياز في معرفة رجال الأمة الحقيقيين

الذين يستحقون شهادات التقدير وجوائز الشكر.. لكنهم مع ذلك يقولون كما كنت تقول لي: يا أخي نحن لا ننتظر شهادات من أحد.. نحن عملنا في الميدان .. وننتظر من الله فقط أن يتقبل منا ؟

لا زلت يا دكتور أتذكر تلك القرية التي أعلن أهلها إسلامهم وكيف كانت فرحتك العارمة .. كأننا خرجنا بأموال الدنيا . كنا نحن ننتظر مشاهد التصوير ونحسب إنجازنا بعدد ساعات التصوير كانت هذه ساحة سعينا .. وميدان بصرنا.. بينما كنت تسبح هناك .. وتنظر هناك..

وتتأمل هناك .. الآخرة! ..

فلله درك أيها العظيم.

كنت أتعجب منك وأنت تحاسب من يعمل معك بكل دقة و تقف بنفسك حتى على طعام الأيتام .. وأقول في نفسي هو جهد زائد ينبغي أن يدفعه لغيره .. لكني فهمت متأخراً عندما قلت لي : أموال الناس التي دفعوها لعمل الخير لا يمكن أن أفرط في ريال واحد منها.

أتدري يا دكتور أن هذا البرنامج كتب سيناريو حلقاته وصمم فكرته وأخرج أطرافه عملكم المتوقد وسعيكم الدائب .. أتدري أني قرأت كل ما كتبته في مجلتكم (الكوثر) قبل أن أصل إليك لأجد ما كتبته عن جهود العمل (غيض من فيض) وعندها تذكرت قول الحبيب صلى الله عليه وسلم :(ليس راء كمن سمع) وأكدت لنفسي (من شاهد الحقائق ضمن الوثائق) كنت أتنقل معك بصحبة فريق البرنامج بين القرى و القبائل لنجد منكم شخصاً ملماً بحياتهم وعاداتهم وتقاليدهم.. وهذا درس من دروس ، فالداعية الحق هو الذي يعرف طبيعة من يدعوهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل لما أرسله لليمن (إنك تأتي قوماً أهل كتاب) إنها معلومة مهمة يراد من ورائها رسم منهج للدعوة .. فليس كل داعية يصلح للدعوة في كل مكان .. بل لابد من مواصفات معينة يسبقها العلم التام بطبيعة المدعوين وأحوالهم.

دكتور : أسعد الله مساءك بكل خير أينما كنت .. تذكرت ذلك المساء الحالم.. عندما أرخى علينا الليل سدوله بعد أن صلينا المغرب وانكمش المنعمون مثلنا من آثار البرد .. فوقفت على تلك الحلقة المستديرة التي تجمع فيها أبناؤكم الأيتام يقرأون القرآن .. وأنت تنتقل من حلقة إلى أخرى .. تطمئن على حفظهم للقرآن الكريم .. وتبتسم في وجوهم كل لحظة .. تذكرت خروجك بعد العشاء لتطمئن عليهم هل ناموا ؟ هل استقروا جميعاً في مهاجعهم ؟

تذكرت سائقك الخاص وأنت تعامله بلطف ومحبة حتى أعلن إسلامه .. تذكرت أولئك الدعاة وهم يجيبون على سؤالي في كل لقاء. من أي مدرسة تخرجتم في الدعوة ؟ فقالوا : من مدرسة عبد الرحمن السميط الدعوية! تذكرت تلك الليلة الشاتية عندما عمدنا إلى جذوع الشجر لنوقد النار للتدفئة فجلست وقد أحطنا بك من كل ناحية .. تحكي لنا حكايات رائعة .. ليست عن حب وغزل .. ولا عن شعر وزجل .. بل عن دعوة وإغاثة .. عن إسلام وراحة .. عن أقوام كانوا في

ضلال فأنقذهم الله بالإسلام (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) (الأنعام : ١٤٢) أيها الفاضل / اسمح لي أن أزجي سراً .. هذه الصور المذكورة من الجهد المتواصل ليست حكراً عليك فقط .. بل هي ديدن أسرتكم الكريمة من زوجة وأبناء حفظكم الله بحفظه.

لا أريد أن أحرق البرنامج على مشاهدينا الكرام .. فهو برنامج أسبوعي في قناة المجد بعنوان(القارة المنسية) فيه الغرائب والعجائب والأفراح والأتراح .. والفقر و الغنى.. فيه صور ة إسلام منسية .. وكتاب مقدس عند أهله اسمه (السواربي) ومقابر لا يتم الدخول إليها إلا بدعاء يتضمن سورة الفاتحة .. برنامج أظن أن غرائبه وعجائبه ستحمله إلى المشاهدين فلن أتحدث عنه مكتوباً.

إلى فارس الدعوة د. عبد المعطي

((إهداء إلى الكويتي الدكتور عبدالرحمن السميط، الذي أسلم على يديه أكثر من ثلاثة ملايين إنسان !..كفاء ما بذل في ساحات الخير والدعوة))

نحن أطفالٌ جياعْ ••• كم ننادي! هل مجيبْ!
شبنا من عهد الرّضاعْ ••• شاقنا طعم الحليبْ

آهِ من ظلم الكبارْ ••• هدَّهم حملُ الذهبْ !
حطّموا حلْم الصغارْ ••• أشعلوا فيه اللهبْ

من جهود الفقراءِ ••• من دموع الأبرياءِ
قد جرت كلُّ الدماءِ ••• في عروق الأغنياءِ

ياجياع الأرض عهدا ••• أن نمدَّ القلب جسرا
نحن لا نطلب حمدا ••• نحن لا نطلب شكرا
نحن أتباعُ رسولٍ ••• كفه بالخير تندى
نحن أصحابُ كتابٍ ••• يملأ الآفاق سَعدا

بعدما كنت قرأتْ ••• كدتُ أهمسُ أو همستْ:

كلُّ طفلٍ أو رضيعٍ ••• كلُّ أمٍ .. كل بنتْ

يومُهم كسرةُ خبزٍ ••• وإدامٌ بعضُ زيتْ!

كلُّ قومٍ فقراءٍ ••• في عراءٍ أو ببيتْ

كلهم للأفْق يرنـو ••• ناظراً بدرَ الكويتْ

للاطلاع على دروس ومحاضرات الشيخ السميط على صفحته في موقع

طريق الايمان

دروس ومقالات ومرئيات

نسأل الله عز وجل أن يختم أعمال الشيخ عبد الرحمن بالصالحات وَأَن يُهَيِّئَ لَهُ مِن أَمرِهِ رَشَدًا ، وَيَجزِيَهُ خَيرًا عَلَى مَا بَذَلَهُ لِدِينِهِ ، وَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ وَأَمثَالَهُ مِن دُعَاةِ المُسلِمِينَ وَرِجَالِ العِلمِ، الَّذِينَ أَفنَوا أَعمَارَهُم وَبَذَلُوا أَوقَاتَهُم ، وَصَرَفُوا أَموَالَهُم وَأَفكَارَهُم لِنَشرِ الدِّينِ وَنُصرَةِ إِخوَانِهِمُ المُسلِمِينَ وَإِغَاثَتِهِم ، إِنَّهُم لَهُمُ الَّذِينَ يَنبَغِي أَن تَتَّخِذَهُمُ الأُمَّةُ قُدُوَاتٍ لها وَهِيَ تَسِيرُ في دُرُوبِ حَيَاتِهَا ، وَأَن تَجعَلَ مِنهُم أُسوَةً لأَبنَائِهَا وَرُمُوزًا لِحَضَارَتِهَا ، لا مَا دَرَجَت عَلَيهِ وَسَائِلُ الإِعلامِ مِن تَلمِيعِ أَهلِ الفَنِّ وَالرِّيَاضَةِ وَالأَفكَارِ العَفِنَةِ وَالآرَاءِ المُنتِنَةِ . إِنَّ أُولَئِكَ المُبَارَكِينَ ، هُمُ الَّذِينَ يَجِبُ أَن تَسِيرَ الأَجيَالُ عَلَى نَهجِهِم وَتَترَسَّمَ خُطَاهُم ، بَل يَجِبُ عَلَى الأُمَّةِ كُلِّهَا أَن تَحذُوَ حَذوَهُم في نَصرِ دِينِ اللهِ ؛ لِيَنصُرَهَا اللهُ وَيُمَكِّنَ لها ،

وَهُوَ القَائِلُ ـ سُبحَانَهُ ـ : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُم وَيُثَبِّتْ أَقدَامَكُم "

المصادر والمراجع :

١. موقع ويكيبيديا .

٢.موقع صيد الفوائد .

٣.موقع طريق الإيمان.

شبكة فلسطين للحوار

www.paldf.net

حقوق النشر محفوظة لكل مسلم ومسلمة